بدر شاكر السيّاب

مختارات شعرية

obeikandl.com

obeikandl.com

أقداح وأحلام

أنـــا مـــا أزال وفي يـــدي قـــدحي
يـــا ليـــلُ، أيـــنَ تفـــرّقَ الـــشرّبُ

مازلـــــت أشـــــربها وأشـــــربها
حتّـــى تـــرنّح أفقـــك الرّحْـــبُ

الـــشرق عُفّـــر بالـــضبابِ فمـــا
يبـــدو، فـــأين ســـناك يـــا غـــربُ ؟

مـــا للنجـــومِ غـــرْقنَ، مـــن ســـأمٍ،
في ضـــوئهن، كـــادت الـــشّهْبُ ؟

obeikandl.com

الحـــــانُ بالـــــشهوات مـــــصطخبٌ

حتّـــــى يكـــــادُ بهـــــنّ ينهـــــارُ

وكـــــأنَّ مـــــصباحَيه مـــــن ضَـــــرَجٍ

كفَّـــــانِ مـــــدّهما لـــــي العـــــارُ

كفّـــان ؟! بـــل ثغـــران قـــد صُـــبغا

بـــــدمٍ تـــــدّفق منـــــه تيـــــارُ

كأســـان ملؤهمـــا طلـــىً عُـــصرت

مـــــن مهجـــــتين رماهمـــــا الحـــــبُّ

أو مخلبـــــان عليهمـــــا مِـــــزَقٌ

حمـــــراءُ تـــــزعم أنهـــــا قلـــــبُ

يـــا ليـــل، أيـــن تطـــوف بـــي قـــدمي ؟

في أيِّ مُنعطـــــفٍ مـــــن الظُلَـــــمِ ؟

تلـــــك الطريـــــقُ أكـــــاد أعرفهـــــا،

بـــــالأمس عـــــتّمَ طيفهـــــا حُلُمـــــي

هـــــي غِمـــــدُ خنجـــــركَ الرهيـــــب، وقـــــد

جرّدْتـــــه ومـــــسحتَ عنـــــه دمـــــي

تلـــــك الطريـــــق علـــــى جوانبهـــــا

تتمـــــــزق الخطـــــــوات أو تكبـــــــو

تتثـــــــاءب الأجـــــــسادُ جائعـــــــةً

فيهـــــا، كمـــــا يتثـــــاءب الـــــذئب

حـــــسناءُ يُلـــــهب عُريُهـــــا ظمـــــأي

فأكـــــاد أشـــــرب ذلـــــك العُرْيـــــا

وأكـــــاد أحطمـــــه، فـــــتحطمني

عينـــــان جائعتـــــان، كالـــــدنيا

غرســـتْ يـــد الحمـــى علـــى فمهـــا

زهـــراً بـــلا شـــجر ـــ فـــلا سَـــقيا !

إنْ فتّحتـــــــه بحرّهـــــا شـــــفةٌ

ظمـــــأى يُعربـــــد فوقهـــــا نَـــــدْبُ

رقـــــصَ المهيـــــبُ علـــــى كمائمـــــه

ومـــــشى الطّـــــلاءُ يهـــــزُّه الوَثـــــبُ

عَـــــينٌ يـــــرّنح هُـــــدْبَها نفـــــسي

وفـــــمٌ يقطـــــع هَمـــــسَهُ الـــــداءُ

ويـــــدٌ علـــــى كتفـــــي مُجلجلـــــةٌ

واخجلتـــــاه ! أتلـــــك حـــــوّاءُ !

لا كنـــــتُ آدمهـــــا ولا لفحـــــت

فردوســـــي الخمـــــريّ صـــــحراءُ !

إنْ فتّحتـــــه بحرّهـــــا شـــــفةٌ

ظمـــــأى يُعربـــــد فوقهـــــا نَـــــدْبُ

صـــــوت النُّعـــــاس يـــــرنّ في أفُقـــــي

فتـــــذوبُ، ناعـــــسةً، لـــــه الـــــسُّحبُ

وأنشـــــال، مـــــن سَـــــهري علـــــى سَـــــهري

يُنبوعُـــــه المتثائـــــبُ الرّطـــــبُ

يـــا نـــومُ بـــين جـــوانحي أمـــلٌ

لم أدرِ، قَبلـــــــكَ أنَّـــــــهُ أمـــــــلُ

مثـــلُ الفراشـــةِ بـــات يحبـــسُها

دوحٌ بـــــذائب طلِّـــــه خَـــــضِلُ

لـــولا خفـــوقُ جناحهـــا، غفلـــتْ

بـــيض الأزاهـــر عنـــه والمقَـــلُ

أنـــا مـــن ظلالـــكَ بـــين أوديـــةٍ

عـــذراءَ، كـــلُّ مهادهـــا عُـــشْبُ

هـــام الـــضبابُ علـــى رفارفهـــا

طـــلَّ الوشـــاح.. كنجمـــة نخبـــو

مـــــاذا أراه ؟! أطيفُهـــــا مـــــسحتْ

عنـــــه الـــــترابَ أنامـــــلُ الغَـــــسَقِ ؟

هـــــو يـــــا فـــــؤادي غَيرُهـــــا رِفـــــةً،

هـــــو مـــــن دمائـــــك أنـــــت، مـــــن حُرقـــــي !

هـــــو مـــــا نحِـــــنُّ إليـــــه بـــــادلني

حُبِّـــــي وفـــــتّح بالـــــسّنا أفُقـــــي

فـــــإذا لثمـــــتُ فغـــــيرَ خادعـــــةٍ

باتـــــت لكُـــــلِ مخـــــادع تـــــصبو

أفكـــــان سُـــــوراً قـــــام بينهمـــــا

بـــــين الخيانـــــة والهـــــوى هُـــــدْب ؟

خفقـــــتْ ذوائبُهـــــا علـــــى شَـــــفتي

وســـــنى فأســـــكَر عطرُهـــــا نفـــــسي

نهـــــرٌ مـــــن الأطيـــــاب أرشـــــفني

ريحـــــاً تُريـــــب مجـــــامرَ الغَلَـــــسِ

فكـــــأن نايـــــاً ضـــــمَّخته يـــــدا

آذارَ، غَـــــرّدَ ليلـــــةَ العُـــــرُسِ

فغفـــــا، ومـــــا زالـــــت ملاحنـــــه

مـــــلء الفـــــضاء يعيـــــدها الحـــــب

أو أنَّ سوســـــــنةً يُراقـــــــصها

رَجْـــــعُ الغنـــــاء، بـــــشَعرها تربـــــو

obeikandl.com

يـــا جِـــسمَ طَيفـــكِ، أنـــتِ، يـــا شـــبحاً

مـــن ذكريـــاتي يـــا هـــوىً خَـــدَعا

لعنـــاتي الحنِقـــات مـــا برحـــتْ

تعتـــاد خِـــدركِ والظـــلامَ معـــاً

خفقـــتْ بأجنحـــة الغُـــراب علـــى

عينَيـــكِ تنـــشر حولـــك الفَزَعـــا

الـــصُّبحُ، صُـــبحك، ضـــحك شـــامتةٍ

والليـــل، ليلـــك، مـــضجعٌ ينبـــو

وإذا هلكـــتِ غـــداً، فـــلا تجـــدي

قـــبراً، ومـــزّق صـــدرك الـــذئبُ ؟

والبـــــومُ يمـــــلأ عُـــــشّه نُتَفـــــاً

مـــــن شـــــعرك المتعفّـــــر النخِـــــرِ

ويعـــــود ثغـــــركِ للـــــذباب لقـــــىّ

ويـــــداك مُثقَلتـــــان بـــــالحجز

لا تـــــدفعان أذاه عـــــن شـــــفةٍ

بـــــالأمس أخـــــرس لعوُهـــــا وتـــــري

وليُـــسقَ مـــن دمـــك الخبيـــث غـــداً

دَوحٌ تعـــــشّش فوقـــــه الغُـــــرْبُ

تـــــأوي الـــــصلال إلى جوانبـــــه

غرثـــــى، ويعـــــوي تحتـــــه الكلـــــبُ !

١٩٤٦/١٢/١٤

obeikandl.com

رئة تتمزق

الداءُ يثلج راحتي، ويطفئ الغد.. في خيالي

ويشلّ أنفاسي، ويطلقها كأنفاس الذبال

تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال

مشدودتين إلى ظلام القبر بالدم والسعال..

واحسرتاه !؟ كذا أموت ؟ كما يجف ندى الصباح ؟

ما كاد يلمع بين أفواف الزنابق والأقاحي،

فتضوع أنفاس الربيع تهزّ أفياء الدوالي،

حتّى تلاشى في الهواء.. كأنه خفق الجناح !

obeikandl.com

كم ليلة ناديت باسمك أيها الموت الرهيبُ

وودت لا طلع الشروق علي إن مال الغروب

بالأمس كنت أرى دجاك أحب من خفقات آل

راقصن آمال الظماء.. فبلها الدم واللهيب !

بالأمس كنت أصيح: خذني في الظلام إلى ذراعك

واعبر بي الاحقاب يطويهن ظل من شراعك

خذني إلى كهف تهوم حوله ريح الشمال..

نام الزمان على الزمان، به، وذابا في شعاعك.

كاد الهوى وهماً يعذبني الحنين إلى لقائه

ساءلت عنه الأمنيات، وبت أحلم بارتمائه

زهراً ونوراً في فراغ من شكاة وابتهال..

في ظلمة بين الأضالع تشرئب إلى ضيائه

obeikandl.com

واليوم حبت الحياة إليّ، وابتسم الزمان

في ثغرها، وطفا على أهدابها الغد والحنان..

سمراء.. تلتفت النخيل الساهمات إلى الرمال

في لونها.. وتفر ورقاء.. ويأرج أقحوان..

شع الهوى في ناظريها.. فاحتواني واحتواها

وارتاح صدري، وهو يخفق باللحون، على شذاها

فغفوت استرق الرؤى والشاعرية من رؤاها

وأغيب في الدفء المعطر.. كالغمامة في نداها

عينان سوداوان أصفى من أماسي اللقاء،

وأحب من نجم الصباح إلى المراعي والرعاء،

تتلألأن عن الرجاء كليلة تخفي دجاها

فجراً يلون بالندى، درب الربيع، وبالضياء

obeikandl.com

سمراء يا نجماً تألق في مسائي... أبغضني

واقسي عليّ.. ولا ترقي للشكاة وعذبيني

خلي احتقارا في العيون، وقطبي تلك الشفاها

فالداء في صدري تحفز لافتراسك في عيوني !

يا موت.. يا رب المخاوف، والديناميس الضريرة
اليوم تأتي !؟ من دعاك ؟ ومن أراد أن تزوره ؟

أنا ما دعوتك أيها القاسي فتحرمني هواها

دعني أعيش على ابتسامتها وإن كانت قصيرة

لا ! سوف أحيى، سوف أشقى، سوف تمهلني طويلاً

لن تطفئ المصباح.. لكن سوف تحرقه فتيلا

في ليلة.. في ليلتين.. سيلتقي آها فآها

حتّى يفيض سنى النهار فيغرق النور الضئيلا !!

يا للنهاية حين تسدل هذه الرئة الأكيل

بين السعال، على الدماء، فيختم الفصل الطويل

والحفرة السوداء تفغر، بانطفاء النور، فاها..

إني أخاف.. أخاف من شبح تخبّئه الفصول !!

وعداً إذا ارتجف الشتاء على ابتسامات الربيع

وانحل كالظل الهزيل وذاب كاللحن السريع

وتفتحت بين السنابلِ - وهي تحلم بالقطيع

والناي - زنبقة، مددت يدي إليها في خشوع

وهويت أنشقها فتصعد كلما صعد العبير،

من صدري المهدوم حشرجة فتحترق العطور

تحت الشفاه الراعشات ويطفأ الحقل النضير

شيئاً فشيئاً.. في عيوني ثمّ ينفلت الأسير

١٩٤٨

obeikandl.com

obeikandl.com

عبيـر

عطـــرت أحلامـــي بهـــذا الـــشذى

مـــن شـــعرك المـــسترسل الأســـود

الجـــو مـــن حـــولي، ربيـــع حبـــا

مـــن خـــدره النـــائي إلى الموعـــد

هـــذا عـــبير الحـــب فجرتـــه

يبحـــث عـــن مجـــرى لـــه في غـــد

نبـــع أثـــيري الخطـــى، حـــالم

بالظلمـــة الخـــضراء والمـــسند

obeikandl.com

والعاشـــق الـــسكران يحـــصي علـــى

ثغـــرك مـــا في الليـــل مـــن فرقـــد

أوقـــدت مـــصباح الهـــوى بعـــدما

خبـــا، ولـــولا أنـــت لم يوقـــد

هبـــت عليـــه الـــريح مجنونـــة

محلولـــة، الـــشعر، خـــضيب اليـــد

الزيـــت مـــن هـــذا الـــشذى واللظـــى

مـــن قبلـــة في الغيـــب لم تولـــد

تطفـــو علـــى العطـــر خيـــالاً فـــلا

ترســـب إلاَّ في الفـــؤاد الـــصدي

obeikandl.com

أهـــــمّ أن أهتـــــف: أنـــــتِ الـــــتي

مثلتهـــــا في أمـــــسي الأبعـــــد

وأنـــــتِ مـــــن تحلـــــم روحـــــي بهـــــا

علـــــى ضـــــفاف الزمـــــان المزبـــــد

تـــــسائل المـــــوج وتـــــومي إلى

كـــــل شـــــراع علّهـــــا تهتـــــدي

أهـــــم أن أهتـــــف لـــــولا خطـــــى

عـــــابرة في الخـــــاطر المجهـــــد

أطيـــــاف حـــــسناواتي اســـــتيقظت

هاتفـــــة: يـــــا ذكريـــــات اشـــــهدي

مـــــا نـــــال منـــــا غـــــير أسمائنـــــا

تـــــسخر مـــــن آمالـــــه الـــــشرد

مكتوبـــــة بالنـــــار في شـــــعره

كالـــــصورة الخرســـــاء في معبـــــدِ

١٩٤٧/١٠/٢١

obeikandl.com

obeikandl.com

في السُوق القديم

الليلُ، والسوقُ القديم

خفتت به الأصواتُ إلاّ غمغمات العابرينْ

وخطا الغريبِ وما تبثُ من نغم حزين

في ذلك الليل البهيم.

الليلُ، والسوقُ القديم، وغمغمات العابرينْ

والنور مقصده المصابيح الحزانى في شحوب

- مثل الضبابِ على الطريق -

من كلِّ حانوتٍ عتيق

بين الوجوه الشاحبات، كأَنَّه نغم يذوب

في ذلك السوق القديم

obeikandi.com

كم طاف قبلي من غريب

في ذلك السوق الكئيب

فراى وأغمضْ مقلتيه، وغاب في الليل البهيم

وارتجَّ في حلَق الدخانِ خيالٌ نافذةٍ تضاء

والريحُ تعبث بالدخان

الريحُ تعبث في فتور واكتئاب بالدخان

وصدى غناء

ناءٍ يذكّر بالليالي المقمرات وبالنخيل

وأنا الغريب... أظل أسمعه وأحلم بالرحيل

في ذلك السوق القديم

وتناثر الضوءُ الضئيلُ على البضائع كالغبار

يرمي الظلال على الظلال، كأَنّها اللحن الرتيب

ويرُيق ألوان المغيب الباردات على الجدار

بين الرفوف الرازحات كأَنّها سحبٌ المغيب

obeikandl.com

الكوب يحلم بالشراب وبالشفاه

ويدٍ تلوّنها الظهيرة والسراجُ أو النجوم

ولربما بَرَدَتْ عليه وحشرجتْ فيه الحياة

في ليلةٍ ظلماء باردة الكواكب والرياح

في مخدع سهر السراجُ به، وأطفأَه الصباح

ورأيتُ من خلل الدخان مشاهد الغد كالظلال

تلك المناديل الحيارى وهي تومئ بالوداع

أو تشرب الدمع الثقيل، وما تزال

تطفو وترسب في خيالي - هوَّمَ العطرُ المضاع

فيها، وخضبها الدمُ الجاري !

لونُ الدُجى وتوقُّدُ النار

يجلو الأريكةَ ثمّ تخفيها الظلالُ الراعشاتْ

وجه أضاء شحوبَهُ اللهبُ

يخبو ويسطع، ثمّ يحتجْبُ

ودمٌ يغمغم وهو يقطر ثمّ يقطر: مات... ماتْ !

obeikandl.com

الليلُ والسوقُ القديم، وغمغماتٌ العابرين

وخطا الغريب

وأنتِ أيتها الشموعُ ستوقدين

في المخدع المجهول، في الليل الذي لن تعرفيه

تلقين ضوءك في ارتخاءٍ مثل أمساءِ الخريفْ

ـ حقلٌ نموجٌ به السنابل تحت أضواءِ الغروب

تتجمع الغربانُ فيه ـ

تلقين ضوءك في ارتخاءٍ مثل أوراق الخريفْ

في ليلةٍ قمراء سكرى بالأغاني، في الجنوب:

نقر [الدُّرابك] من بعيد

يتهامسُ السعفُ الثقيلُ به ويصمتُ من جديد !

قد كان قلبي مثلَكن، وكان يحلم باللهيب

حتّى أتاح له الزمانُ يداً ووجهاً في الظلام

ـ نارَ الهوى ويدَ الحبيب ـ

ما زال يحترقُ الحياة،

obeikandl.com

وكان عام بعد عام

يمضي، ووجهٌ بعد وجه

مثلما غاب الشراع

بعد الشراع ـ وكان يحلم في سكون، في سكون

بالصدر، والفم والعيون،

والحبُّ ظلله الخلود... فلا لقاء ولا وداع

لكنه الحلمُ الطويل

بين التمطي والتثاؤب تحت أفياء النخيل

بالأمس كان وكان ـ ثمّ خبا، وأنساه الملال

واليأْسُ، حتّى كيف يحلم بالضياء ـ فلا حنين

يغشى دجاه، ولا اكتئاب، ولا بكاء، ولا أنين

الصيف يحتضن الشتاءَ، ويذهبان.. ومايزال

كالمنزل المهجور تعوي في جوانبه الرياح

كالسلم المنهارِ، لا ترقاه في الليل الكئيب

قدمٌ، ولا قدمٌ ستهبطه إذا التمع الصباح

obeikandl.com

ما زال قلبي في المغيب

ما زال قلبي في المغيب فلا أصيل ولا مساء

حتّى أتتْ هي والضياء !

ما كان لي منها سوى أنّا التقينا منذ عام

عند المساء، وطوّقتني تحت أضواء الطريق

ثمّ ارتخت عني يداها، وهي تهمس ـ والظلام

يحبو، وتنطفئ المصابيح الحزانى والطريق ـ:

≪ أتسير وحدك في الظلام ؟

أَتسير، والأشباح تعترض السبيل، بلا رفيق ؟

فأَجبتها والذئب يعوي من بعيد، من بعيد

≪ أنا سوف أَمضي باحثاً عنها، سأَلقاها هناك

عند السراب وسوف أَبني مخدعين لنا هناك. ≫

قالت ـ ورجَّع ما تبوح به الصدى ≪ أنا من تريد ≫

obeikandl.com

≪ أنا من تريد، فأَين تمضي ؟ فيمَ تضربُ في القفار

مثل الشريد ؟ أنا الحبيبة، كنت منك على انتظار

أنا من تريدُ.. ≫ وقبّلتْني ثمّ قالت ـ والدموع

في مقلتيها ـ ≪ غير أَنَّكَ لن ترى حلمَ الشباب

بيتاً على التل البعيد يكاد يخفيه الضباب

لولا الأغاني، وهي تعلو نصف وسنى والشموع

تلقي الضياءَ من النوافذ في ارتخاء، في ارتخاء !

أنا من تريد، وسوف تبقى لا ثواء ولا رحيل:

حبٌ إذا أعطى الكثير فسوف يبخل بالقليل،

لا يأْس فيه ولا رجاءِ.

أنا أيها النائي القريب

لك أَنت وحدك، غير أنّي لن أَكون

لك أنت ـ أسمعها، وأَسمعهم ورائي يلعنون

هذا الغرام ـ أكاد أسمع أيها الحلم الحبيب

لعنات أُمي، وهي تبكي. أيها الرجل الغريب

إِني لغيرك.. بيد أَنك سوف تبقى ولن تسير

قدماك سمّرتا فما تتحركان، ومقلتاك

لا تبصران سوى طريقي، أيها العبدُ الأسير !

≪ ـ أنا سوف أَمضي فاتركيني: سوف ألقاها هناك

عند السراب ≫

فطوقتني وهي تهمس: ≪ لن تسير ≫.

≪ أنا من تريد، فأين تمضي بين أَحداق الذئاب

تتلمَّسُ الدربَ البعيد ≫ ؟

فصرختُ: سوف أَسير، ما دام الحنينُ إلى السراب

في قلبيَ الظامي ! دعيني أَسلك الدربَ البعيد

حتّى أراها في انتظاري، ليس أحداق الذئاب

أقسى عليَّ من الشموع

في ليلة العرسِ التي تترقبين، ولا الظلام

والريح والأشباح، أقسى منك أنت أو الأنام !

أَنا سوف أمضي ! فارتخت عني يداها والظلام

يطغى

ولكني وقفت وملءَ عينيَّ الدموع !

١٩٤٨

obeikandl.com

obeikandl.com

غريب على الخليج

الريح تلهثُ بالهجيرةِ، كالجثامِ على الأصيلْ

وعلى القلوعِ تظل تطُوى أَو تنُشرَّ للرحيلْ

زحمَ الخليجَ بهنَّ مكتدحون جوّابو بحار

من كل حافٍ نصفِ عار

وعلى الرمالِ على الخليج

جلسَ الغريبُ، يسرّحُ البصرَ المحيرَّ في الخليجْ

ويهدُّ أَعمدةَ الضياءِ بما يصعِّدُ من نشيج:

« أَعلى من العبّاب يهدر رغوُهُ ومن الضجيجْ

صوتٌ تفجرَّ في قرارة نفسيَ الثكلى: عراق

obeikandl.com

كالمدِّ يصعَدُ كالسحابة، كالدموع إلى العيون

الريحُ تصرخُ بي عراق،

والموجُ يُعْوِلُ بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق !

البحرُ أَوسعُ ما يكون وأَنت أَبعدُ ما تكون

والبحرُ دونك يا عراق

بالأَمسِ حين مررتُ بالمقهى سمعتك يا عراق

وكنتَ دورةَ أُسطوانة

هي دورة الأَفلاك من عُمْري، تكوِّرُ لي زمانَه

في لحظتين من الزمان، وإنْ تكنْ فَقدتْ مكانَه

هي وجه أُمي في الظلام

وصوتُها، يتزلَّقان مع الرؤى حتّى أَنام

وهي النخيل أَخاف منه إذا ادلهَمَّ مع الغروب

فاكتظ بالأَشباح تخطفُ كلَّ طفلٍ لا يؤوبُ

من الدروب،

وهي المفليّة العجوزُ وما توشوشُ عن ≪ حزام ≫

وكيف شق القبرَ عنه أمام عفراء الجميلة

فاحتازها... إلاّ جديله،

زهراءُ، أنتِ. أتذكرين

تنوُرناَ الوهّاجَ تزحمه أكفُ المصطلين ؟

وحديثَ عمّتي الخفيضَ عن الملوك الغابرين ؟

ووراء بابٍ كالقضاءْ

قد أوصدَتْهُ على النساء

أيدٍ تطاعُ بما تشاءُ، لأنها أيدي رجال -

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

obeikandl.com

أَفتذكرينَ ؟ أَتذكرين ؟

سُعداءَ كنا قانعينَ

بذلك القَصَصِ الحزينِ لأَنَّه قَصص النساء

حشدٌ من الحيَواتِ والأَزمانِ، كنا عنفوانَه

كنا مَدارَيْه اللّذين ينالُ بينهما كيانه

أَفليس ذلك سوى هباء ؟

حُلُمٌ ودورةٌ أُسطوانَه ؟

إنْ كان هذا كلَّ ما يبقى فأَين هو العزاء ؟

أَحْببتُ فيكِ عراقَ روحي أو حببتُكِ أَنتِ فيه،

يا أَنتما، مصباحُ روحي أنتما ـ وأَتى المساء

والليلُ أَطبق فلتشعّا في دجاه فلا أَتيْهْ

لو جئتِ في البلدِ الغريبِ إليَّ ما كَمُلَ اللقاء

الملتقى بك والعراقُ على يديَّ.. هو اللقاء

شوقٌ يخضُّ دمي إليه، كأَنَّ كلَّ دمي اشتهاء

جوعٌ إليه.. كجوعِ كلِّ دم الغريق إلى الهواء

شوقُ الجنين إذا اشرأَبَّ من الظلام إلى الولاده

إنّي لأعجبُ كيف يمكن أَن يخونَ الخائنون

أَيخونُ إنسانٌ بلاده ؟

إنْ خان معنى أَن يكون فكيف يمكن أَن يكون ؟

الشمسُ أَجمل في بلادي من سواها والظلام

ـ حتّى الظلام ـ هناك أَجملُ، فهو يحتضن العراق

واحسرتاه، متى أَنام

فأُحِسُّ أَنَّ على الوسادة،

من ليلِكَ الصيفيِّ طَلاًّ فيه عطرُكَ يا عراق

obeikandl.com

بين القُرى المتهيبات خطايَ والمدن الغريبه

غنّيتُ تربتَك الحبيبه

وحملتُها، فأَنا المسيحُ يجرُّ في المنفى صليبَه

فسمعتُ وقعَ خطا الجياعِ تسيرُ، تدمى من عثار

فتذرُّ في عينيَّ، منك ومن مناسِمِها، غبار

ما زلتُ أَضربُ، مُترِبَ القدمين أَشعثَ، في الدروب

تحت الشموسِ الأَجنبيّة

متخافق الأطمار، أَبسطُ بالسؤال يداً نديّهْ

صفراءَ من ذلٍّ وحُمّى، ذلِّ شحاذٍ غريب

بين العيونِ الأجنبيّهْ

بين احتقارٍ وانتهارٍ، وازدراءٍ... أَو ≪ خطيَّهْ ≫

والموتُ أَهونُ من ≪ خطيَّة ≫

من ذلك الإشفاق تعصره العيونُ الأجنبيّهْ

قطراتِ ماءٍ معدنيّهْ !

فلتنطفي، يا أَنتِ، يا قطراتُ، يا دمٌ، يا... نقودُ

يا ريحُ يا إبراً تخيط لي الشارعَ ـ متى أَعودُ

إلى العراقِ، متى أَعود ؟

يا لمعةَ الأمواجِ رنَّحَهُنَّ مجدافٌ يرود

بيَ الخليجَ، ويا كواكبَه الكبيرةَ.. يا نقود !

ليت السفائنَ لا تقاضي راكبيها عن سِفارِ

أوليت أن الأرض كالأفق العريض، بلا بحار

ما زلت أَحسُبُ يا نقودُ، أُعدّكنَّ واستزيد،

ما زلتُ أنقِصُ، يا نقودُ، بكنَّ من مُدَدِ اغترابي

ما زلتُ أُوقِدُ بالتماعتكنَّ نافذتي وبابي

obeikandl.com

في الضفة الأخرى هناكَ، فحدثيني يا نقودُ

متى أَعودُ متى أَعود ؟

أَتراهُ يأْزِفُ، قبل موتي، ذلك اليوم السعيدُ ؟

سأَفيق في ذلك الصباحِ، وفي السماء من السحابِ

كِسَرٌ، وفي النسماتِ بردٌ مشبَعٌ بعطورِ آبِ

وأزيحُ بالثُؤَباءِ بُقيا من نعاسي كالحجابِ

من الحريرِ، يشفُّ عمّا لا يبينُ وما يبينْ:

عمّا نسيتُ وكدتُ لا أَنسى، وشكٍ في يقين.

ويضيء لي ـ وأَنا أَمدُّ يدي لأَلبسَ من ثيابي

ما كنتُ أبحثُ عنه في عتماتِ نفسي من جوابِ

لِمَ يملأُ الفرحُ الخفيُّ شعابَ نفسي كالضبابِ

اليومَ ـ واندفق السرورُ عليَّ يفجأَني ـ أَعودُ !

واحسرتاهُ ؟. فلن أعودَ إلى العراق !

وهل يعودُ

من كان تُعْوزِه النقودُ ؟ وكيف تُدَّخرُ النقود

وأنت تأْمَلُ إذ تجوع ؟ وأنت تنفقُ ما يجورُ

به الكرامُ على الطعام ؟

لتبكيَنَّ على العراقِ

فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك، دون جدوى للريح وللقلوح

الكويت ١٩٥٣

obeikandl.com

obeikandl.com

في المغرب العربي

قرأْتُ اسمي على صخرة

هنا في وحشة الصحراء

على آجرّةٍ حمراء

على قبر.. فكيف يحسُّ إنسانٌ يرى قبره

يراه وإنّه ليحار فيه:

أحيٌّ هو أم ميتٌ ؟ فما يكفيه

أن يرى ظلاً له على الرمال

كمئذنةٍ معفرة

obeikandl.com

كمقبرةٍ كمجدٍ زال

كمئذنةٍ تردَّدَ فوقَها اسم الله

وخُطَّ اسمٌ له فيها

وكان محمدٌ نقشاً على آجرّةٍ خضراء

يزهو في أعاليها

فأَمسى تأْكل الغبراء

والنيرانُ من معناه

ويركله الغزاة بلا حذاء

بلا قدِم

وتنزف منه دون دم

جراحٌ دونما ألمٌ

فقد مات

obeikandl.com

ومتنا فيه من موتى ومن أحياء

فنحن جميعُنا أموات

أنا ومحمد والله

وهذا قبرُنا: أنقاضٌ مئذنةٍ معفَّرةٍ

عليها يُكتبُ اسم محمدٍ والله

على كِسَرٍ مبعثَرةٍ

من الآجرِّ والفخار

فيا قبرَ الإله على النهار

ظلٌ لألفِ حربةٍ وفيل

ولونٌ أبرهة

وما عكسته منه يد الدليل

والكعبةُ المحزونة المشوّهة

obeikandl.com

قرأْتُ اسمي على صخرة

على قبرين بينهما مدى أجيال

يجعلُ هذه الحفرة

تضم اثنين: جدَّ أبي ـ ومحضٌ رمال

ومحضٌ نثارةٍ سوداءَ منه، استُنْزلا قبره ـ

وإياي، ابنَهٌ في موتِهِ والمُضغةِ الصلصال

وكان يطوف من جدّي مع المدّ

هتافٌ يملأ الشطآن: ≪ يا وديانَنا ثوري !

ويا هذا الدمُ الباقي على الأجيالُ

يا إرثَ الجماهيرِ،

obeikandl.com

تشْظَّ الآن واسحَقْ هذه الأَغلالْ

وكالزلزال

هزَّ النيرَ، أو فاسحقه واسحقنا مع النير ≪.

وكان إلهنا يختال

وكان عصائب الأَبطالْ

من زندٍ إلى زندِ

ومن بندٍ إلى بندِ

إلهُ الكعبةِ الجبّارُ

تدرَّعَ أمسِ في ذي قار

بدرعٍ من دم النعمان في حافاتها آثارْ

إلهُ محمدٍ وإلهُ آبائي من العربِ

تراءى في جبال الريف يحمل رايةَ الثوار

obeikandl.com

وفي يافا رآه القومُ يبكي في بقايا دار

وأبصرناه يهبط أرضنا يوماً من السحبِ:

جريحاً كان في أحيائنا يمشي ويستجدي

فلم نَضْمِدْ له جرحاً

ولا ضحّى

له منا بغير الخبز والأنعامِ من عبدِ !

وأصواتُ المصلين ارتعاشٌ من مراثيه

إذا سجدوا ينزُّ دمٌ

فيسرعُ بالضمادِ فمٌ

بآياتٍ يفضُّ الجرح منها خير ما فيه

تداوي خوفنا من علمنا أنا سنحييه

إذا ما هلّلَ الثوارُ منا: ≪ نحنُ نفديه ≫

obeikandl.com

أغار، من الظلام على قرانا

فأَحرقهنَّ سربٌ من جرادِ

كأَنَّ مياه دجلةَ حيثُ دلّى

نتمٌّ عليه بالدمِ والمدادِ.

أليسَ هو الذي فجأَ الحبالى

قضاه، فما ولدنَ سوى رمادِ

وأنعلَ، بالأهلّةِ في بقايا

مآذِنِها، سنابكَ من جوادِ

وجاء الشامَ يسحبُ في ثراها

خطا أسدين جاعا في الفؤادِ

فأَطعم أجوَعَ الأسدين عيسى

obeikandl.com

وبلَّ صداه من ماءِ العمادِ

وعضَّ نبيَّ مكة... فالصحارى

وكلُّ الشرق ينفر للجهادِ

أعاد اليومُ، كي يقتصَّ من أنّا دحرناه ؟

وأنَّ الله باقٍ في قرانا، ما قتلناه !

ولا من جوعنا يوماً أكلناه !

ولا بالمال بعناه ؟

كما باعوا

إلهَهم الذي صنعوه من ذهبٍ كدحناه

كما أكلوه إذ جاعوا

إلههم الذي من خبزنا الدامي جبلناه

obeikandl.com

وفي باريس تتّخذ البغايا

وسائدَهن من ألم المسيحَ

وبات العقمُ يزرعُ في حشاها

فم التنين: يشهق بالفحيحِ

ويقذف من حديدٍ في حمانا

جحافلَ كالفوارسِ، دون روحِ

تجدُّ وراءَ مكّة في الصياصي

أقمناها ويثرب في السفوح

قرأْت اسمي على صخرة

وبين اسمين في الصحراء

تنفَّسَ عالمُ الأحياء

كما يجري دمُ الأحياءِ بين النبضِ والنبضِ

obeikandl.com

ومن آجرّةٍ حمراء ماثلةٍ على حفرة

أضاءَ ملامحَ الأَرضِ

بلا ومضِ

دمٌ فيها، فسمّاها

لتأْخذَ منه معناها

لأعرفَ أنها أَرضي لأعرفَ أَنها بعضي

لأَعرفَ أَنها ماضيٌّ، لا أحياه لولاها

وأنّي ميّتٌ لولاه، أمشي بين موتاها

أَذاك الصاخبُ المكتظ بالرايات ِوادينا

أَهذا لونٌ ماضينا

تضوّأَ من كوى ≪ الحمراءْ ≫

ومن آجرّةٍ خضراء

obeikandl.com

عليها تكتب اسم الله بُقيا من دمٍ فينا ؟

أَنَبْرٌ من أَذانِ الفجر ؟ أم تكبيرةٌ الثوارْ

تعلو من صياصينا ؟

تمخَّضتِ القبورُ لتنشرَ الموتى ملاييينا

وهبَّ محمدٌ وإلهُهُ العربيُّ والأَنصارْ:

إنَّ إلهنا فينا.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبغى[1]

بغداد مبغى كبيرْ

(لواحظ المغنيّه

كساعة تتكٌ في الجدار

في غرفة الجلوس في محطة القطارْ)

يا جثة على الثرى مستلقيه

الدود فيها موجةٌ من اللهيب والحرير

[1] كتبت في زمن الحكم الملكي ..!!

obeikandl.com

بغداد كابوسٌ: (ردىً فاسدٌ

يجرعه الراقدُ

ساعاته الأيام، أيّامه الأعوام، والعام نيرْ:

العام جُرحٌ ناغرٌ في الضمير)

عيون المها بين الرصافة والجسرْ

ثقوب رَصاصٍ رقّشت صفحة البدر،

ويسكبِ البدر على بغداد ؟

من ثُقبي العينين شلالاً من الرمادْ:

الدور دارٌ واحده،

وتعصر الدروب، كالخيوط، كلُّها

في قبضة مارده

تمطُّها، تشلُّها،

obeikandl.com

تحيلها درباً إلى الهجير.

وأوجه الحسان كلهنّ وجهٍ ناهده ≪

(حبيبتي التي لُعابها عَسلْ

صغيرتي التي أردافها جبل

وصدرها قُلل

ونحن في بغداد ؟ من طين

يعجنه الخزّافُ تمثالاً،

دنيا كأحلام المجانين

ونحن ألوانٌ على لجّها المرتجّ أشلاءً وأوصالاً

بالأمس كان العيد، عيد الزهورْ:

الزاد تحثوه الربى، والخمور،

والرقص والأغنيات

obeikandl.com

والحب والكركرات.

ثمّ انتهى إلاّ بقايا طيور

تلتقط الحَبَّ، وإلاَّ دماء

مما نماه الحقلُ ـ طيرٌ وشاء

وغير أطفال يطوفون أُور:

≪ العيدُ، من قال انتهى عيدُنا

فلتملأ الدنيا أناشيدنا

فالأرض ما زالت بعيدٍ تدور..

بالأمس كان العيد، عيد الزهور

واليوم ؟ ما نفعلُ ؟

نزرع أم نقتل ؟

أهذه بغداد ؟

obeikandl.com

أم أن عاموره

عادت فكان المعادْ

موتاً ؟ ولكنني في رنّة الأصفاد

أحسَسْتُ... ماذا ؟ صوت ناعورة

أم صيحة النسْغ الذي في الجذور ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

إلى العراق الثائر

قصيدة يبعثها من مستشفى

ماري من لندن ١٩٦٣/٢/٨

عملاءُ ≪ قاسمَ ≫ يطلقون النارَ، آهِ، على الربيعْ،

سيذوب ما جمعوه من مالٍ حرامٍ كالجليدْ

ليعود ماءً منه تَطْفحُ كلُ ساقيةٍ، يُعيد

ألقَ الحياةِ إلى الغصون اليابسات فتستعيد

ما لُصّ منها في الشتاء القاسيّ... فلا تضيع.

obeikandl.com

يا للعراقْ

ياللعراقْ ! أكاد ألمحُ، عَبْرَ زاخرةِ البحارْ.

في كلِ منعَطَفٍ، ودربٍ، أو طريق، أو زقاق

عَبْرَ الموانئ والدروبْ،

فيه الوجوهَ الضاحكات تقولُ: ≪ قد هربَ التتّارْ

والله عاد إلى الجوامع بعد أن طلع النّهار،

طلع النهار فلا غروب ! ≫

يا حفصةُ ابتسمي فثغركِ زهرة بين السهوب،

أخذتْ من العملاء ثأرَكِ كفٌّ شعبيَ حين ثار

فهوى إلى سَقَرٍ عدوّ الشّعْب، فانطلقتْ قلوب

كانت تخاف فلا تحنّ إلى أخٍ عَبْر الحدودْ،

كانت على مَهَلٍ تذوب،

obeikandl.com

كانت إذا مال الغروب

رفعت إلى الله الدّعاءَ: ≪ ألا أغثْنا من ثمود

من ذلك المجنون يعشق كلَّ أحمرَ، فالدماءْ

تجري وألسنَةُ اللهيب تُمدُّ، يعجبه الدمار.

أحرقْه بالنيران تهبط كالجحيم، من السماء،

واصرعْه صرعاً بالرصاص ! فإنه شبحُ الوباء ≫.

هرع الطبيبُ إليّ ـ آهِ، لعله عرف الدواء

للداء في جسدي فجاء ؟ ـ

هرع الطبيبُ إليَّ وهو يقول: ≪ ماذا في العراق ؟

الجيْشُ ثارَ ومات ≪ قاسم ≫... ≫ ـ أي بُشْرى بالشفاء !

ولكدتُ من فرَحي أقوم، أسيرُ، أعدو دون داء.

obeikandl.com

مرحى له.. أيّ انطلاقْ ! ؟

مرحى لجيش الأمةِ العربيةِ انتزع الوثاق !

يا إخوتي بالله، بالدم، بالعروبة، بالرجاء،

هبّوا فقد صرِعَ الطغاةُ وبدّد الليلَ الضياء !

فلتحرسوها ثورةً عربيةً صعُقِ ≪ الرفاقْ ≫

منها وخرّ الظالمون،

لأن ≪ نموزَ ≫ استفاقْ

من بعدِ ما سرق العميل سناه، فانبعثَ العراقْ

obeikandl.com

ربيع الجزائر

سلاماً بلادَ اللظى والخراب

ومأوى اليتامى وأرض القبور،

أتى الغيث وانحلّ عقد السحاب

فروّى ثرى جائعاً للبذور.

وذاب الجناح الحديد

على حمرة الفجر تغسل في كل ركن بقايا شهيد

وتبحث عن ظامئات الجذور.

obeikandl.com

وما عاد صبحك ناراً تقعقع غضبى وتزرع ليلاً

وأشلاء قتلى

وتنفث قابيل في كلّ نارٍ بسفّ الصديد.

وأصبحتِ في هدأةٍ تسمعين نافورةً من هتاف

لديك يبشّر أن الدجى قد تولّى

وأصبحت تستقبلين الصباح المطلاّ

بتكبيرةٍ من ألوف المآذن كانت تخاف

فتأوي إلى عاريات الجبالِ

ترقع أصداءها بالرمالِ

بماذا ستستقبلين الربيع ؟

ببقيا من الأعظم البالية

لها شعله رشّت الدالية،

obeikandl.com

تعير العناقيد لون النجيع.

وفي جانبي كل درب حزين

عيون تحدّق، تحت الثرى

تحدّق في عورة العاجزين.

لو تستطيع الكلام

لصبّت على الظالمين

حميماً من اللعنات، من العار، من كل غيظ دفين.

ربيعك يمضع قَيْحَ السلام.

بيوتك تبقى طوال المساء

مفتحةً فيك أبوابها

لعل المجاهد بعد انطفاء اللهيب وبعد النوى والعناء

يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء

obeikandl.com

جراحاً، يفرّ إليه الصغار ترفرب أثوابها

يصيحون ≪ بابا ≫ فيُفطر قلب السماء

ـ ≪ وماذا حملتَ لنا من هديّة ؟ ≫

ـ ≪ غداً ضاحكاً أطلعتْه الدماء. ≫

وكم دارةٍ في أقاصي الدروب القصيّة

مفتحة الباب، تقرعه الريح في آخر الليل قرعاً

فتخرج أم الصغار

ومصباحها في يد أرعش الوجد منها

برود الدجى، ما أنار

سوى الدرب قفر المدى، وهي تصغي وترهف سمعاً

وما تحمل الريح إلاَّ نباح الكلاب البعيد،

فتُخفت مصباحها من جديد.

obeikandl.com

ولمّا استرحنا بكيْنا الرفاق ! ≫

هماس لأنيبس عبر القرون

وها أنتِ تدمع فيكِ العيون

وتبكين قتلاك.

نامت وغىً فاستفاق

بكِ الحزنُ: عاد اليتامى يتامى،

ردىً عاد ما ظُنّ يوماً فراق.

سلاماً بلاد الثكالى، بلاد الأيامى

سلاماً

سلاماً....

obeikandl.com

obeikandl.com

شباك وفيقه

شُبَّاكُ وفيقةَ في القَرْيهْ
نَشوانٌ يُطِلُّ على السَّاحه
(كجليلٍ تنتظرُ المشيه
ويسوعَ) وينشرُ ألواحَه ـ
إيكارُ يُمسّحُ بالشمسِ
ريشاتِ النَّسرِ وينطلقُ،
ايكارُ تلقّفهُ الأفُقُ

obeikandl.com

ورَماهُ إلى اللُججِ الرمسِ -

شبّاكُ وفيقةَ يا شجره

تَتَنَفّسُ في الغبشِ الصَاحي

الأعينُ عندَكَ مُنتَظرة

تَترقّبُ زهرةَ تفاحِ،

وبُويبُ نشيدْ

والرّيحُ تُعيدْ

أَنعامَ الماءِ على السَّعفِ

ووفيقةُ تنظرُ في أَسفِ

من قاعِ القَبرِ وتنتظِرُ:

سيمرُّ فيهمسُه النَّهرُ

ظلّاً يتماوجُ كالجرسِ

obeikandl.com

في ضَحوةِ عيدْ،

ويَهفُّ كحبَّاتِ النَّفَسِ.

والرِّيحُ تُعيدُ

أَنغام الماءِ (هو المطرُ)

والشَمسُ تُكَركرُ في السَّعَفِ.

شُبّاكٌ يَضحكُ في الألقِ ؟

أم بابٌ يفتحُ في السُورِ

فَتقرُّ بأجْنِحةِ العَبَقِ

رُوحٌ تَتلَهفُ لِلنّورِ؟

يا صخرةَ مِعراجِ القَلبِ

يا " صُوَرَ " الألفةِ والحُبِّ

يا درباً يصْعَدُ للربِّ

obeikandl.com

لولاكِ لما ضَحِكتْ للأنسامِ القرْيه،

في الرّيحِ عبيرْ

من طَوْقِ النَّهرِ يُهدْهدُنا ويُغنينا

(عوليسٌ مع الأمواجِ يَسير

والرِّيحُ تُذكّرهُ بجزائرَ منسيّه

" شِبْنا يا ريحٌ فخلّينا ")

العالمُ يفتحُ شبّاكَهُ

من ذاكَ الشبّاكِ الأَزرق،

يتَوحّدُ، يجعلُ أشواكَه

أزهاراً في دعةٍ تعبُقْ.

obeikandl.com

شبّاكٌ مِثلُك في لُبنانْ،

شبّاكٌ مِثلُك في الهِندِ،

وفتاةٌ تحلمُ في اليابان

كَوفيقةَ تحلُمُ في اللّحدِ

بالبرقِ الأَخضرِ والرَّعد.

شُبّاكُ وفيقة في القرية

نَشوانُ يطلُّ على السَّاحة

(كجليلٍ تحلمُ بالمشيه

ويسوع).

ويُحرِقُ ألواحَهُ.

obeikandl.com

obeikandl.com

عرس في القرية

مثلما تنفض الريحُ ذرّ النضارْ

عن جناح الفراشة، مات النهار.

النهار الطويلْ.

فاحصدوا يا رفاقي، فلم يبقَ إلاَّ القليلْ.

كان نقرٌ الدَّرابك منذ الأصيل

يتساقط، مثلَ الثمار،

من ريح تهوم بين النخيل،

obeikandl.com

يتساقط مثل الدموع

او كمثل الشرار:

إنها ليلة العرُس بعد انتظار !

مات حبٌ قديم، ومات النهار

مثلما تُطفئ الرّيح ضوءَ الشموع،

ألشموع.. الشموع،

مثل حقل من القمح عند المساء،

من ثغور العذارى تعبّ الهواء،

حين يرقصن حول العروس

منشداتٍ ≪ نوار، أهنئي، يا نوار! ≫.

≪حلوةٌ أنت مثل الندى يا عروس≫.

يا رفاقي سترنو إلينا نوار

obeikandl.com

من علٍ في احتقار.

زهّدتها بنا حفنة من نُضار:

خاتم أو سوار، وقصرٌ مشيدٌ

من عظام العبيد..

وهي، يا ربِّ، من هؤلاء العبيد !

ولو أننا وآباءنا الأولين

قد كدحنا طوال السنين

وادّخرنا ـ على جوع أطفالنا الجائعين ـ

ما اكتسبناه في كدنا من نقود،

ما اشترينا لها خاتماً أو سوار !

خاتمٌ ضمَّ في ماسه الأزرقِ

من رفات الضحايا مئات اللحود

obeikandl.com

اشتراها به الصيرفيُّ الشقي.

مثلما تنثر الرّيح عند الأصيل

زهرة الجلّنار ـ

أقفر الريف لمّا تولّت نوار.

بالصبابات، يا حاملات الجرار

رُحْنَ واسألنَها: ≪ يانوار

هل تصيرين للأجنبي الدخيل ؟

للذي لا تكادين أن تعرفيه !

يا ابنة الريف، لم تتصفيه !

كم فتىً من بنيه

كان أولى بأن تعشقيه ؟

إنهم يعرفونك منذ الصغرْ

obeikandl.com

مثلما يعرفون القمر.....

مثلما يعرفون حفيف النخيلْ

وضفاف النهر

والمطر

والهوى، يا نوار.... ≫.

احصدوا يا رفاقي، فإن المغيب

طاف بين الروابي يرش اللهيب

من أباريق مجبولة من نضار،

والزغاريد تصدي بها كل دار:

أوقد القصر أضواءه الأربعين،

فاتبعوني إليها مع الرائحين.

اتركوني أغني أمام العريس

obeikandl.com

وأراقص ظلي كقرد سجين

وأمثّلُ دور المحب التعيس

ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين،

من هواي المضاع،

من قلوب الجياع

حين َتهوى، ومن ذلة الكادحين.

سوف آكلُ حتّى ينزَّ الدمُ

من عيوني... فما زال عندي فمٌ:

كل ما عندنا نحنُ، هذا الفمُ !

كان وهماً هواناً، فإن القلوب

والصبابات وقفٌ على الأغنياء !

لا عتابٌ.. فلو لم نكن أغبياء

ما رضينا بهذا، ونحن الشعوب.

obeikandl.com

النهر والموت

بُوَيبْ...

بُوَيبْ...

أَجراسُ برْجٍ ضاعَ في قَرارةِ البَحَرْ.

الماءُ في الجِرارِ، والغُروبُ في الشَّجَرْ

وتنضحُ الجِرار أجراساً من المَطَرْ

بلُّورها يذوبُ في أَنينْ

" بُوَيبْ... يا بُوَيبْ ! "،

فيدلهمُّ في دمي حَنينْ

obeikandl.com

إليكَ يا بُويبْ،

يا نهريَ الحزينَ كالمَطَرْ.

أودُّ لو عدوتُ في الظَّلامْ

أشدُّ قَبضتيَّ تحملان شوقَ عامْ

في كُلِّ إصبعٍ كأنّي أَحملُ النُّذورْ

إليكَ، من قمحٍ ومنْ زُهورْ.

أودُّ لو أطلُّ من أسرةِ التِلالْ

لألمحَ القَمَرْ

يخوضُ بين ضَفتيكَ، يَزْرعُ الظِّلالْ

ويملأُ السِّلالْ

بالماءِ والأسْماكِ والزَهَرْ.

أودُّ لو أخوضُ فيكَ، أَتبَعُ القَمَرْ.

obeikandl.com

وأسمعُ الحصى يصلُّ مِنكَ في القَرار

صليلَ آلافِ العصافير على الشَجَرْ.

أغابةٌ منَ الدموعِ أَنتَ أَمْ نَهرْ ؟

والسَّمكُ الساهرُ، هل ينامُ في السَّحَرْ ؟

وَهذه النُّجومُ، هل تظلُّ في انتظارْ.

تُطعمُ بالحريرِ آلافاً من الإبَرْ ؟

وأَنتَ يا بُويبْ....

أودُّ لو غرقْتُ فيكَ، ألقطُ المحارْ

أشيدُ منهُ دارْ

يضيءُ فيها خَضْرةَ المياهِ والشَّجَرْ

ما تَنضحُ النجومُ والقَمَرْ ،

وأغتدي فيكَ مع الجزَرِ إلى البَحَرْ !

فالموت عالمٌ غريبٌ يفتنُ الصِّغارْ،

وبابُه الخفي كانَ فيكَ، يا بُويبْ...

بُوَيبْ... يا بُوَيبْ،

عشرونَ قد مضينَ، كالدُّهور كلَّ عامْ.

واليومَ، حين يُطبِقُ الظلَامْ

وأستقرُّ في السرَيرِ دونَ أَنْ أَنامْ

وأُرْهِفُ الضمَيرَ: دوْحةً إلى السَّحَرْ

مرهفَةَ الغُصونِ والطُيورِ والثَّمَرْ -

أُحسَّ بالدِّماءِ والدُموعِ، كَالمَطَرْ

ينضَحُهُنَّ العالمُ الحزينْ:

أجراسُ موتى في عُروقي تُرْعِشُ الرَّنينْ،

فيَدْلَهمُّ في دمي حَنينْ

إلى رَصاصةِ يَشقُّ ثَلْجُها الزُّؤامْ

أعماقَ صدري، كالجَحيمِ يُشعِلِ العِظامْ.

أودُّ لو عَدوتُ أَعضدُ المُكَافحينْ

obeikandl.com

أشدُّ قَبْضتيَّ ثمّ أصفعُ القدر.

أودُّ لو غَرِقتُ في دمِي إلى القَرارْ،

لأحملَ العبء مَعَ البَشَرْ

وأبعثَ الحياةَ. إنَّ موتيَ انتِصارْ !

obeikandl.com

obeikandl.com

المسيح بعد الصلب

بَعدَما أَنزَلوني، سَمِعتُ الرِّياحْ

في نُواح طويل تسفُّ النَّخيلْ،

والخُطى وهي تتأى. إذنْ فالجراحْ

والصَّليبُ الذي سمَّروني عليهِ طوالَ الأَصيلْ

لم تمتْني. وأنصتُّ: كانَ العَويلْ

يَعبرُ السَهلَ بيني وبينَ المدينة

مثل حبل يشد السفينة

obeikandl.com

وهي تهوي إلى القاع. كان النَّواح

مثلَ خَيْط من النُّورِ بينَ الصبَّاحْ

والدُّجى، في سماءِ الشتاءِ الحزينه.

ثمّ تغفو، على ما تحسُّ، المَدينه.

حينَما يُزهرُ التوت والبُرتقالْ،

حينَ تمتدُّ " جيكور " حتّى حُدودِ الخَيالْ،

حينَ تخضرُّ عشباً يُغنّي شَذاها

والشُموسَ التي أرضَعَتْها سَناها،

حينَ يَخضرُّ حتّى دُجاها،

يلمسُ الدفءُ قلبي، فَيجري دمي في ثَراها.

قلبيَ الشمسُ إذ تنبضُ الشَمسُ نوراً،

قلبيَ الأرضُ، تنبضُ قَمحاً، وزَهراً، وماءً نميرا،

obeikandl.com

قلبيَ الماءُ، قلَبي هُو السُنبلُ

موتُهُ البعثُ: يحيا بمنْ يأْكلُ.

في العجينِ الذي يَستدِيرْ

ويُدحى كنهدٍ صغير، كثَدي الحياة،

متٌّ بالنَّار: أحرقتُ ظلماءَ طيني، فظَلَّ الإله.

كُنت بدءاَ وفي البدء كانَ الفقير.

متّ، كي يُؤكلُ الخبزُ باسمي، لكي يزْرَعوني معَ الموسمِ،

كم حياة سأحيا: ففي كلِّ حُفره

صرتُ مُسْتقبلاً، صرتُ بذْرَه

صرتُ جيلاً من الناسِ: في كلِّ قلَبٍ دمي

قطرةٌ منه أو بَعضُ قطره.

هكذا عدتُ، فاصفرَّ لمّا رآني يَهوذا...

فقد كنتُ سرَّه.

obeikandl.com

كأنَّ ظلاً، قد اسودَّ، منّي، ونمثالَ فكره.

جُمدّتْ فيهِ واستلّتِ الروحُ منها،

خافَ أن تفضحَ الموتَ في ماءِ عَينيهِ....

(عيناهُ صخره

راحَ فيها يُواري عن الناسِ قبَره)

خافَ من دِفئِها، من محالٍ عليه، فخبَّرَ عنها.

ـ " أنتَ ! أم ذاك ظِلي قد أبيضَّ وارفضَّ نوراً ؟

أنتَ من عَالمِ المَوْتِ تَسعى ! هُوَ الموتُ مرَّه.

هكذا قالَ آباؤنا، هكذا علّمونا فهلْ كانَ زُوراً ؟ "

ذاكَ ما ظنَّ لمّا رآني، وقالتْهُ نَظْره.

قدمٌ تَعدو، قدمٌ، قدمٌ

القبرُ يكادُ بوقعِ خُطاها ينْهدِمُ.

أترَى جاؤوا ؟ من غَيرُهمُ ؟

قدمٌ.. قدمٌ.. قدمَ

القيتُ الصَّخرَ على صَدْري،

أَو ما صلَبوني أمسِ ؟... فها أنا في قَبْري.

فليأتوا - إنّي في قَبرْي.

منْ يَدري أنّي... ؟ منْ يدري ؟؟

ورفاقٌ يَهوذا ؟! من سيصدّقُ ما زعموا ؟

قدمٌ.. قدمٌ.

ها أنا الآن عَريانٌ في قَبريَ المُظلِمِ:

كنتُ بالأمسِ ألتفُّ كالظنِّ، كالبُرعمِ،

obeikandl.com

تحْتَ أكفانيَ الثلجِ، يخضلُّ زهرُ الدمِ،

كنتُ كالظل بين الدُجى والنَّهارْ ـ

ثمّ فجَّرتُ نَفسي كُنوزاً فعرَيتُها كالثِّمارْ.

حين فصّلتُ جيبيِ قِماطاً وكُمّي دثار،

حين دفّأتُ يوماً بلَحمي عِظامَ الصغارْ،

حينَ عرّيتُ جُرحي، وضَمّدتُ جُرحاً سِواه،

حَطّم السُّورُ بيني وبينَ الإله.

فاجَأ الجُندُ حتّى جِراحي ودقاتِ قلَبي

فاجأوا كلَّ ما ليس موتاً وإن كانَ في مَقْبرَه

فاجأوني كَما فاجأَ النخلةَ المُثمِره

سربُ جَوْعى من الطَّيرِ في قَريةٍ مُقْفِره.

أعينُ البندقيات يأكْلنَ دَرْبي،

obeikandl.com

شرَّعٌ تحلُم النارُ فيها بصَلبْي،

إن تكنْ من حديدٍ ونارٍ، فأحداقٌ شعبي

من ضياءِ السماواتِ، من ذكرياتِ وحُبٍّ

تحملُ العبءَعَنّي فيندى صلَيبي، فما أَصغرَه

ذلكَ الموتُ،موتي، وما أَكْبرَه !

بعدَ أن سمّروني وأَلقيتُ عينيّ نَحو المَدينة

كدتُ لا أعرف السَّهلَ والسُّور والمقبره:

كانَ شيءٌ، مدى ما ترى العينَ،

كالغابةِ المزُهره،

كانَ، في كُلّ مَرْمى، صليبٌ وأمٌّ حزينه.

قدُّسَ الربُّ !

هذا مَخاضُ المَدينه.

obeikandl.com

جيكور أمي

تلك أمي، وإنْ أجئْها كسيحا

لاثماً أزهارها والماء فيها، والتُّرابا

ونافضاً، بمقلتي، أعشاشها والغابا:

تلك أطيار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا

أو ينشِّرْن في بُويْبَ الجناحين: كزهرٍ يفتِّح الأفوافا.

ها هنا. عند الضحى، كان اللِّقاءْ

obeikandl.com

وكانت الشمس على شفاهها تكسرٌ الأطيافا

وتسفح الضياء.

كيف أمشي، أجوب تلك الدروب الخُضْرَ وأطرق الأبوابا

أطلب الماء فتأتيني من الفخَّار جرّه

تنضح الظلَّ البرود الحُلْوَ... قطره

بعد قطره.

تمتد بالجرّه لي يدان تنشران حول رأسي الأطيابا:

(هالتي) تلك. أم (وفيقة) أم (إقبال).

لم يبق لي سوى أسماء

من هوىً مرَّ كرعدٍ في سمائي

دون ماء.

كيف أمشي ! خطايا مزّقها الداء... كأني عمودْ ملحٍ يسيرُ...

obeikandl.com

أهي عامورة الغويّة أم سادوم ؟

هيهات.. إنها جيكورٌ:

جنةٌ كان الصبي فيها وضاعت حين ضاعا.

آه لو أن السنين السود قَمْحٌ أو صخورٌ

فوق ظهري حملتُهنَّ، لألقيْتُ بحملي فنفّضتْ جيكورٌ

عن شُجيراتها تراباً يغشّيها وعانقتُ معزفي ملتاعاً،

يجهش الحبّ، به. لحناً فلحنا

ولقاءً فوداعا

آه لو أن السنين الخُضْرْ عادت، يوم كنّا

لم نزل بعدٌ فتَّيّينِ لقبّلتُ ثلاثاً أو رُباعاً

وجنتيْ (هالةَ) والشَّعْرْ الذي نشرَّ أمواج الظلام

في سيولٍ من العطور التي تحمل نفسي إلى بحارٍ عميقة

ولقبّلتُ، برغم الموت، ثغراً من وفيقة

ولأوصلتُك يا (إقبال) في ليلة رعدٍ ورياح وقتامِ،

حاملاً فانوسيَ الخفاق تمتدُّ الظلالْ

منه أو تقصر، إذ يرعش في ذاك السكونْ،

ذلك الصمتِ سوى قَعْقعة الرعد،

سوى خفْق الخطا بين التِّلال

وحفيف الرّيح في ثوبْكِ، أو وهْوهه الليل مشى بين الغصون،

ولعانقتُك عند الباب، ما أقسى الوداعْ !!

آهٍ.. لكن الصبّى ولّى وضاع،

الصبِّى والزمانُ لن يرجعا بعْدُ،

فقرّي يا ذكريات ونامي

لندن ١٩٦٣/٢/٥

obeikandl.com

أنشودة المطر

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحرْ.

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمرْ

عيناكِ حين تبسمان تُورقُ الكرومْ.

وترقص الأضواء.. كالأقمار في نَهَرْ.

يرجه المجذافُ وهناً ساعة السحَرْ.

كأنّما تنبضُ في غوريهما النُجوم...

obeikandl.com

وتغرقان في ضباب من أسىً شفيفْ

كالبحر سرّح اليدين فوقه المساء،

دفءُ الشتاء فيه وارتعاشهُ الخريف،

والموتُ، والميلادُ، والظلامُ، والضياءُ،

فتستفيقُ ملءَ روحي، رعشةُ البكاء

ونشوةٌ وحشيةٌ تعانِقُ السماء

كنشوة الطفل إذا خافَ من القمر !

كأَنَّ أقواس السحاب تشربُ الغيوم.

وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر...

وكركر الأطفالُ في عرائش الكروم،

ودغدغت صمتَ العصافير على الشجر

أنشودةُ المطر....

oberkandl.com

مطر... مطر... مطر...

تثاءب المساءُ والغيوم ما تزالْ.

تسحّ ما تسحّ من دموعها الثّقال.

كأنّ طفلاً بات يهذي قبلَ أن ينام:

بأنّ أمَّه ـ التي أفاقَ منذ عام

فلم يجدْها، ثمّ حين لجَّ في السؤال

قالوا له: ≪ بعد غدٍ تعودْ... ≫

لا بدّ أن تعودْ

وأن تهامس الرِّفاق أنَّها هناكْ

في جانب التلِّ تنام نومة اللُّحود

تسفّ من ترابها وتشربُ المطرْ،

كأنَّ صياداً حزيناً يجمع الشِّباكْ

ويلعن المياهَ والقدَرْ

obeikandl.com

وينثرُ الفناءَ حيث يأفل القمرْ

مطر... مطر...

اتعلمين أي حزنٍ يبعث المطر ؟

وكيف تنشجُ المزاريبْ إذا انهمرْ ؟

وكيف يشعرُ الوحيد فيه بالضياع

بلا انتهاءٍ - كالدم المراق، كالجياع،

كالحبِّ، كالأطفال، كالموتى - هو المطر !

ومقلتاكِ بي تُطفيان مع المطر

وعبر أمواج الخليج تمسحُ البروق

سواحلَ العراق بالنجوم والمحارْ،

كأنها تهم بالشروق

فيسحب الليل عليها من دم دِثار.

أصيحُ بالخليج ≪ يا خليج

obeikandl.com

يا واهبَ اللؤلؤ، والمحار، والردى ! ≫

فيرجع الصدى، كأنه النشِيج

≪ يا خليج ! يا واهب المحار والردى ≫

أكادُ اسمع العراق يذخر الرعودْ

ويخزن البروق في السهول والجبال،

حتّى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجالْ

لم تترك الرّياح من ثَمودْ، في الوادي من أثر.

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر

وأسمع القرى تئن والمهاجرين

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع

عواصفَ الخليج، والرعودَ منشدين:

obeikandl.com

مطر... مطر... مطر...

وفي العراق جُوعْ، وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربانُ والجراد، وتطحن الشوان والحجر.

رحى تدور في الحقول.. حولها بشر،

مطر... مطر... مطر...

وكم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموع ، ثمّ اعتللنا

ـ خوف أن نلام ـ بالمطر... مطر... مطر...

ومنذ أن كنا صغاراً، كانت السماء تغيم في الشتاء ويهطل المطر،

وكلّ عام حين يُعشب الثرى، نجوعْ

ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوع.

مطر... مطر... مطر...

في كل قطرة من المطر، حمراءُ أو صفراءُ من أجنَّة الزهر.

obeikandl.com

وكل دمعة من الجياع والعراة،

وكل قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديد

أو حلمةٌ توردت على فم الوليد،

في عالم الغد الفتي، واهب الحياة

مطر... مطر... مطر...

سيُعشِبُ العراق بالمطر..

أصيحُ بالخليج: ≪ يا خليج.. يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى >>

فيرجع الصدى كأنه النشيج، يا خليج، يا واهب المحار والردى

وينثر الخليجُ من هباته الكثار،

على الرمال، رغوة الأجاجَ والمحار

وما تبقى من عظام بائسٍ غريق

من المهاجرين ظلَّ يشرب الردى،

obeikandl.com

من لجة الخليج والقرار،

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق،

من زهرة يربُّها الفرات بالندى

واسمع الصدى، يرن في الخليج.

مطر... مطر... مطر...

في كل قطرة من المطر، حمراءُ أو صفراءُ من أجنَّة الزهرْ.

وكل دمعة من الجياع والعراة، وكل قطرة تراق من دم العبيد

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديد

أو حلمةٌ توردت على فم الوليد،

في عالم الغد الفتي، واهب الحياة

ويهطل المطرْ.

obeikandl.com

المعول الحجري

رنينٌ المِعوَلِ الحَجريِّ في المُرتَجِّ من نَبْضي

يدمّرُ في خَيالي صُورةَ الأرضِ

ويهدِمُ برجَ بابَل، يقلعُ الأبواب، يخلعُ كلَّ آجُرَّه

ويَحْرِقُ من جنائنها المعلّقةِ الذي فيها

فلا ماءٌ ولا ظلٌّ ولا زهره

وينبذُني طريداً عند كَهفٍ ليسَ تحمي بابَه صَخره

ولا تَدمي سوادَ الليلِ نارٌ فيه يحييني وأحييها.

تعالي يا كواسر يا أسودٌ ويا نمورٌ ومَزّقي الإنسانْ

obeikandl.com

إذا أخذتُه رجفةٌ ما يبثُ الليلُ من رُعبِ

فَضُجّي بالزئيرِ وزَلزِلي قَبرَه

دماغي وارثُ الأجيالِ، عابرُ لُجّةِ الأكوان

سيأكل منه داءٌ شلَّ من قدمي وشَدَّ يداً على قَلبي

كلامٌ ذاكَ أصدقُ من نُبوءةِ أي عَرّافِ

تُريهِ مسالكَ الشُهُبِ

حِمى الأَسرارِ، تَطلعهُ على المُتربِّصِ الخافي

إذا نطقَ الطَبيبُ فأسكتوا العرّافَ والفوّالْ

رنينُ المِعولِ الحجريَّ يزحفُ نَحو أَطْرافي

سأعجزُ بعد حينٍ عن كتابة بيت شعرٍ في خَيالي جالْ

فدونَك يا خيالُ مدىً وآفاقٌ وألفُ سماء

وفجِّرَ من نجومِك، من ملايينِ الشُموسِ من الأَضواءْ

وأشعلْ في دمي زلزالْ

لأكتبَ قبلَ موتي أَو جُنوني أو ضمَّورِ يدي من الإعياءْ

خوالج كلِّ نَفسي، ذكرياتي كلِّ أَحْلامي

وأوهامي

وأسفحُ نفسي الثَّكلى على الورقِ

فيقرؤها شقي بعد أَعوامٍ وأعوامِ

ليعلمَ أن أشقى منهُ عاشَ بهذِهِ الدُّنيا

وآلى رُغم وحشِ الدّاءِ والآلامِ والأَرقِ

ورُغمِ الفقَرِ أن يحيا

ويا مرضي، قناع الموتِ أنتَ، وهل ترَى لو أسفرَ الموتُ

أخافُ ؟ ألاّ دعِ التكشيرةَ الصَّفراءَ والثُّقبين،

حيثُ امتصتِ العينين

جحافل من جُيوشِ الدُّودِ يجثُمُ حولَها الصَّمتُ،

obeikandl.com

تلوحُ لناظري. ودَعِ الدِّماء تسحُّ من أَنفي من الثُّقبين

فأينَ أبي وأمي... أَينَ جَدّي.. أينَ آبائي.

لقد كَتَبوا أساميهم على الماءِ

ولستُ براغبٍ حتّى بخطٍّ اسمي على الماءِ

وداعاً يا صحابي، يا أحبائي

إذا ما شئتموا أن تَذكروني فاذكروني ذاتَ قَمْراءِ

وإلاّ فَهو محْضُ اسمٍ تَبَدّدَ بينَ أسماءِ

وداعاً يا أحبائي....

المومس العمياء

اللّيلُ يُطبقُ مرّةً أُخرى، فَتشرَبُهُ المَدينَه
والعابرونَ، إلى القَرارةِ... مثلُ أغنية حَزينَه.
وَتَفتّحَتْ، كأَزاهرِ الدّفْلَى، مَصابيحُ الطّريق،
كعَيونِ "ميدوزا"، تحَجّر كلُّ قلبِ بالضَّغينه،
وكأَنها نذرٌ تبشّرُ أهلَ "بابِل" بالحَريقْ

من أي غابَ جاءَ هذا الليلُ ؟ منْ أيّ الكُهوفِ
من أي وجرٍ للذئاب ؟
من أي عُشٍ في المقَابرِ دَفّ أسفعَ كالغُراب ؟

obeikandl.com

"قابيل" أخفِ دمَ الجريمةِ بالأزاهِرِ والشُّفوفِ

وبِما تشاءُ من العُطورِ أو ابتساماتِ النساء

ومن المَتاجرِ والمَقاهي وَهي تَنبضُ بالضّياء

َعمياءُ كالخفَّاشِ في وضحِ النّهارِ، هي المدينة،

والليلُ زادَ لها عماها.

والعابرونْ:

الأَضلعُ المُتقوّساتُ على المخاوفِ والظُّنونْ،

والأعينُ التَعبى تُفتِّشُ عن خيالٍ في سواها

وتعدّ آنية تلألأ في حَوانيتِ الخُمور:

مَوتى تَخاف من النُشور.

قالوا سنهربُ، ثمّ لاذوا بالقبورِ منَ القُبور !

أحفادُ "أوديبَ" الضريرِ ووارثوه المُبصرونْ.

(جوكست) أَرملةٌ كأمسِ، وبابُ "طيبة" ما يزالْ

يُلقي "أَبو الهول" الرّهيبُ عليه، من رُعبٍ ظِلالْ

والموتُ يلهَثُ في سؤَالْ

باقٍ كما كَان السؤال، وماتَ معناهُ القديمْ

من طولِ ما اهترأَ الجَوابُ على الشِّفاه.

وما الجَوابْ ؟

"أنا" قالَ بعضُ العابرين...

وانسلّتِ الأضواءُ من بابٍ تثَاءبَ كالجَحيم

تَطفو علَيهن البَغايا كالفَراشاتِ العطاش

يَبْحثنَ في النّيرانِ عن قَطراتِ ماءِ... عن رَشاش.

لا تنقلنَّ خُطاك فالمبَغى "علَائيٌّ" الأديمِ:

أَبناؤك الصرّعى ترَابٌ تحتَ نَعلِكَ مُستباحٌ،

يتضاحكون ويعولونَ.

أو يَهمِسون بما جناهُ أبٌ يبرّؤه الصبَّاحُ

ممّا جنَاهُ، ويتبعونَ صدى خطاكَ إلى السكونْ

obeikandl.com

الحارسُ المكْدودُ يعبرُ، والبَغايا متعبات،
النومُ في أحداقهنَ يَرفُ كالطّيرِ السَّجينِ،
وعلى الشفاهِ أو الجَبينِ
تَترنحُ البسمَاتُ والأصباغُ ثكلى، باكيات،
مُتعثراتٌ بالعيونِ وبالخطى والقَهْقَهات،
وكأن عاريةَ الصُدورْ
أوصالُ جُندي قَتيلٍ كلّلوها بالزُهور،
وكأنّها دَرجٌ إلى الشّهواتِ، تزحمهُ الثُّغور
حتّى تهدّمَ أو يكادُ. سِوى بَقايا من صُخور.

جِيفٌ تَستَتّرُ بالطلاء، يكادُ يُنكِرُ من رآها
أنَّ الطفولةَ فجّرتْها، ذاتَ يومٍ، بالضّياءْ
كالجدولِ الثّرثارْ - أو أنَّ الصّباحَ رأى خُطاها
في غَيرِ هذا الغَار تَضحكُ للنسائمِ والسّماء،

ويكادُ ينكرُ أنَّ شقّاً لاحَ من خَلَلِ الطّلاء

قد كانَ ـ حتّى قبلَ أعوامٍ من الدمِ والخَطيئة ـ

ثغراً يُكرْكِرُ، أو يُثرثِرُ بالأقاصيصِ البريئه

لأبٍ يَعودُ بما استَطاعَ من الهَدايا في المَسَاء:

لأبٍ يقبّلُ وجهَ طِفلتِهِ النّديِّ أو الجبين

أو ساعدين كَفرختينِ من الحَمائمِ في النَّقاء.

ما كانَ يعلمُ أن ألفَ فمٍ كبئرٍ دون ماءِ

ستمصُّ من ذاكَ المحيا كلّ ماءٍ للحَياء

حتّى يَجفّ على العظامِ ـ وأنَّ عاراً كالوباء

يَصمُ الجباهَ فليسَ تُغسَلُ منهُ إلاَّ بالدّماء

سيَحلّ من ذَاك الجبينِ بهِ ويلَحقُ بالبنين ـ

والساعدينِ الأبيضينِ، كما تُنوِّرُ في السُهولْ

تفاحةٌ عذراءُ، سَوفَ يُطوّقانِ مع السنين

كالحيّتينِ، خُصور آلافِ الرِّجال المُتعبين

الخارجينَ، خُروجَ آدَم، من نَعيمٍ في الحُقول

تفاحةُ الدّمِ والرغيفِ وجُرعتانِ من الكُحول

وَالحيةُ الرّقطَاءُ ظلٌ من سياطِ الظّالمين

أتريدَ مِن هذا الحُطام الآدميّ المُستباحْ

دفءَ الرّبيع وفَرحةَ الحَمْلَ الفَرِيرِ مع الصبّاح

ودواءَ ما تلقاهُ من سأمٍ وذُلٍ واكتِداح

المالُ، شَيْطانُ المَدينة

وكأنَّ ألحاظَ البغايا.

إبَرٌ تُسَلُّ بِها خُيوطٌ من وشائعَ في الحَنايا

وتظلُ تنسجُ، بينَهن وبينَ حَشدِ العابرينْ،

شيئاً كَبيْتِ العَنكبوتِ يَخضُّه الحِقدُ الدّفين:

حِقدٌ سيعصفُ بالرِّجَالْ

والأخرياتٌ، النّائماتٌ هُناكَ في كنَفِ الرِّجال

والسّاهراتٌ على المُهودِ وفي بيوتِ الأقربين

حولَ الصلّاءِ بلا اطّراحٍ للثيابِ ولا اغتِسَال

في الزّمهريرِ، ودونَ عدٍّ لليالي والسّنين !

ويمرّ عِملاقٌ يبيعُ الطّيرَ، مِعطفُهُ الطَويل

حيرانُ تَصطفقُ الرّياحُ بجانبيهِ، وقَبضتْاه

تتراوحانِ: فللرداءِ يدٌ وللعبءِ الثقيلِ

يدٌ، وأعناقُ الطّيورِ مُرَنّحاتٌ من خُطاه

تَدمى كأثداءِ العجائزِ يومَ قَطّعها الغُزاة.

خُطواتُه العُجَلى، وصَرْختُه الطّويلة: "يا طيورْ

هذي الطيُور، فَمن يَقولُ تَعالَ..."

أَفزَعها صَداه

يأتيه من غُرفِ البغايا كاللهاثِ من الصُدور.

ويدٌ تُشِير إليه عن كَثَبٍ، وقائلةٌ تعالْ !

بين التَضاحُكِ والسّعالْ:

عمياءُ تطفئُ مُقلتاها شهوةَ الدّمِ في الرَّجال.

وتحسّستهُ كأنَ باصرةً تَهمُّ ولا تَدور

في الرّاحتينِ وفي الأناملِ وهي تَعثرُ بالطُّيور،

وتَوسلْتهُ: "فدى لعينكَ ـ خَلّنِي. بيدي أَراها ".

ويكادُ يهتكُ ما يُغلفُ ناظريها من عَماها

قلبٌ تحرّقَ في المحَاجِرِ وأشرأبّ يرُيدُ نُور !

وتمسّ أجنحةٌ مُرقّطة فتنشرُها يَداها،

وتظلُ تذكرُ ـ وهي تمسُحُهنَّ ـ أَجنحةً سواها

كانتْ تَراها وهي تخفقُ... ملءَ عَينيها تَراها:

سربٌ من البَطِّ المهاجرِ، يستحثّ إلى الجَنوب

أَعناقَه الجَذْلى... تكادُ تزيدُ من صَمْتِ الغُروب

صَيحاتَه المُتقطّعاتُ، وتَضمحلُّ على السُّهوب

بين الضبّابِ، ويَهمُس البرديّ بالرَّجعِ الكئيب.

ويَرجُ وشوشةَ السّكونْ

طَلَقَ... فَيصمتُ كلُّ شيء... ثمّ يلغطُ في جُنون.

هي بطّةٌ فلمَ انتفضتِ ؟ وما عَساها أن تكونْ ؟

ولعلّ صائدَها أَبوك، فأن يَكنْ فَستَشبَعونْ.

وتخفّ راكضةً حيالَ النهرِ كي تلَقى أَباها:

هو خلفَ ذاك التّلِ يَحصدُ. سَوفَ يغضبُ إنْ رآها.

مرّ النهارُ ولم تُعنه... وليسَ من عَونٍ سواها

وتظلُ تَرقى التلَّ وهي تكادُ تكفرُ من أساها.

يا ذكرياتُ علامَ جئتِ على العَمى وعلى السّهاد ؟

لا تُمهليها، فالعذابُ بأَنْ تمرّي في انتّئاد

قصّي علَيْها كيفَ ماتَ وقد تضرّجَ بالدماءِ

obeikandl.com

هُوَ والسّنابلُ والمساءْ ـ

وعيونٌ فلاحينَ ترْتجِفُ المذلّةُ في كُواها

والفمغماتُ: "رآهُ يَسرُق..."، واختلاجاتُ الشفاه

يَخزين ميّتَها، فتصرُخُ: "يا إلهي، يا إلهي...

لو أنَّ غيرَ "الشيخِ"، وانكفأتْ تشدُ على القتيل

شَفَتينِ تَنتقمانِ منهُ أسىً وحباً والتياعاً

وكأنّ وَسْوسةَ السّنابلِ والجَداولِ والنَخيل

أصداءُ موتى يَهْمِسونَ: "رآه يَسرقُ" في الحُقول

حيثُ البيادرُ تفصدُ الموتى فتزدادُ اتساعا

وتُحِسّ بالدمِ وهوَ ينزفُ من مكانٍ في عماها

كالماءِ من خَشبِ السّفينةِ، والصديدِ من القبور،

وبأدمعٍ من مقلتيها كالنّمالِ على الصخور

أو مثلِ حباتِ الرِّمالِ مُبعثراتٍ في عماها

يَهوينَ منهُ إلى قرارةِ قَلْبِها آها فآها.

ومَنِ الملومُ وتلك أقدارٌ كُتبنَ على الجَبينْ ؟

حتمٌ عليها أنْ تعيشَ بِعرْضِها، وعلى سواها

من هؤلاءِ البّائساتِ. وشاءَ ربُّ العالمينْ

ألاَّ يكونَ سِوى أَبيها - بينَ آلافِ - أباها

وقضى عليه بأن يَجوعْ

والقمحُ ينضجُ في الحُقولِ من الصبَّاحِ إلى المساءْ

وبأنْ يلصَّ فيَقتلوه... (وتَشرئبُ إلى السماء

كالمُستَغيثةِ، وهي تَبكي في الظّلامِ بلا دُموع)

واللهُ - عزَّ اللهُ - شاءْ

أن تقذفَ المدنُ البعيدةُ والبحارُ إلى العراقَ

آلافَ آلافِ الجُنودِ ليَستبيحوا، في زُقاق

دونَ الأزقَّةِ أَجمعينْ

obeikandl.com

ودونَ آلافِ الصبّايا، بنتَ بائعةِ الرقاقْ:

تلكَ الشقيّةَ، ياسَمينْ.

(ذاك اسمٌ جارتِها الجَديدُ، فلَيتَها كانتْ ترَاها

هل تَستحقُ اسماً كهذا: ياسمينٌ وياسمينْ ؟)

يا ليتَ حَمّالاً تزوجَها يَعودُ مع المَساءْ

بالخُبزِ في يَدهِ اليسارِ وبالمحبّةِ في اليَمين.

لَكنّ بائسةً سِواها حَدثتْها مُنذ حِين

عن بَيتها وعن ابنتيها، وهي تَشهقُ بالبُكاء:

كالغَيمة السوَّداء تُنذِرُ بالمجاعةِ والرّزَايا،

أزرارُه المتألقاتُ على مَغالقِ كلّ باب

مَقَلُ الذئابِ الجائعاتِ تَرودُ غاباً بعد غابِ

وخطاُهُ مُطرِقةٌ تسمّرُ، في الظلّام، على البغايا

أَبوابَهنّ، إلى الصبَّاحِ ـ فلا أتّجارٌ بالخطايا

إلاّ لِعاهرةٍ تُجازُ بأن تكونَ من البَغايا...

ويَظَلّ يَخفرهن من شَبَعٍ، وينثُرُ في الرِّياح

أُغنيّةً تَصفُ السّنابلَ والأَزاهِرَ والصبَّايا،

وتَظلُ تَنتظرُ الصبَّاحَ وساعديه مع الصبّاح

تصفى ـ وتَحتضنُ ابنتيها في الظّلامِ ـ إلى النباح

وإلى الرّياح تئنُّ كالموتى وتُعوِلُ كالسبَّايا

وتُجمِّعُ الأشباحَ من حُفرِ الخَرائبِ والكُهوف

ومن المقابرِ والصحَّارى بالمِئاتِ والألوف....

فتقفُّ من فَزَعٍ وتحْجبُ مُقْلتيها بالغِطاء،

ويَعودُ والغبشُ الحزين يرُشّ بالطّل المُضاء

سَعَفَ النّخيلِ... يَعودُ من سَهَرٍ يئنُ ومن عَياء

ـ كالغيمةِ اعتصرتْ قِواها في القِفارِ، وتَرْتجيها

عَبرَ التّلالِ قوى تجوعُ ـ لكي يَنامَ إلى المساَء:

obeikandl.com

عيشٌ أشقّ من المنيّةِ، وانتصارٌ كالفَناء

وطوى يعبّ من الدِماءِ وسمٌّ أَفعى في الدِّماء

وعُيونُ زَانٍ يَشتهيها، كالجَحيم يشعّ فيها

سخرٌ وشوقٌ واحتقارٌ، لاحقتها كالوباء....

والمالُ يهمسُ أَشتريكِ وأشتَريكِ فيَشتريها

يا لَيتها، إذن انتَهى أَجلٌ بها فطوى أَساها !

" لو أَستطيعُ قَتلتُ نَفسي.. "همسةٌ خنقَتْ صَداها

أُخرى تُوسوسُ: " والجحيمُ ؟ أتُبصرينَ على لظاها ؟

وإذا اكفهرّ وَضاقَ لحدُك، ثمّ ضاقَ، إلى القرارِ

حتّى تفجّرِ من أَصابِعكِ الحليبُ رشاشَ نارِ

وتَساءل الملَكانِ: فيمَ قتلتِ نفسَك يا أَثيمَة ؟

وتَخطّفاكِ إلى السّعيرِ تُكفّرين عن الجَريمة.

obeikandl.com

أفتَصرخينَ: أَبي ! فَينفضُ راحتيهِ من الغُبارِ

وَيخفُ نَحوكِ وهوَ يهتفُ: قد أتيتُكِ يا سَليمة ؟ "

حتّى اسمُها فقدتهُ واسْتَتَرتْ بآخرَ مستعارِ

هي ـ منذُ أن عَمِيَتْ "صباحُ "...

فأيّ سخرية مَريره !

أين الصّباحُ من الظّلامِ تَعيش فيهِ بلا نهارِ

وبلا كواكبَ أو شموعٍ أو كوى وبدونِ نارِ ؟

أو بَعد ذلك تَرْهبينَ لِقاءَ رَبّكِ أو سَعيرَه ؟

القبرُ أهونُ من دُجاكِ دجىً وأرفقُ، يا ضَريره.

يا مُستباحةُ كالفرَيسةِ في عَراءٍ، يا أسيره

تتلفّتينَ إلى الدُروبِ ولا سبيلَ إلى الفَرارِ ؟

وتُحِسّ بالأسفِ الكَظيم لنفسِها: لم تُسْتباحْ ؟

ألهرَّ نامَ على الأَريكة قُربها... لِمَ تُستباح ؟

شَعبانُ أغفى، وَهيَ جائعةٌ تلمّ من الرّياح

أَصداءَ قَهقهةِ السّكارى في الأزقةِ، والنُّباح

وتعدّ وَقعَ خطى هنُا وهناك: ها هو ذا زُبون

هُو ذا يجيء ـ وتشرئبُّ، وكادَ يُلمسُ... ثمّ راح

وتدقّ في أحدِ المَنازلِ ساعةً.. لِمَ تُسْتباح ؟

الوقتُ آذنَ بانتهاءٍ والزَبائنُ يَرحلونْ.

لِمَ تُسْتباحُ وتستباح على الطّوى ؟ لِمَ تُسْتباحْ ؟

كالدّربِ تذرعُه القوافلُ والكلابُ إلى الصبَّاحْ ؟

الجوعُ ينخرُ في حَشاها، والسّكارى يَرحلون،

مروا عليها في المساءِ وفي العَشيّةِ يَنسِجُون

حلُماً لها هِي والمَنونَ:

obeikandl.com

عَصبَاتٌ مُهجتِها سَداهُ وكلُ عوقٍ في العُيون،

والآنَ عادوا ينقُضون -

خيطاً فخيطاً من قَرارةِ قَلْبِها ومن الجِراح -

ما لَيسَ بالحُلم الذي نَسجوه، ما لا يُدركون....

شيئاً هو الحُلمُ الذي نَسجوا وما لا يَعرِفون،

هوَ منهُ أكثرُ: كالحَفيفِ من الخَمائل والرّياحْ،

والشِعرُ من وزنٍ وقافيةٍ ومَعنى، والصبّاحْ -

من شمسهِ الوضّاء... وانصرَفوا سُكارى يضحكون !

فلْيرْحلوا. ستَعيشُ، فهيَ من السُعالِ ومن عماها

أقوى، ومن صَخَبِ السكارى.

فامضِ عنها يا أَساها

ستجوعُ عاماً أو يزيدُ، ولا تموتُ، ففي حشَاها

حقدٌ يؤرّثُ من قِواها.

obeikandl.com

ستعيشُ للثأرِ الرهيبِ

والداء في دمِها وفي فمِها. ستنفث من رِداها

في كُلِّ عرقٍ من عُروقِ رجالِها شَبَحاً من الدّمِ والا

شَبَحاً تخطّفَ مقلتيها أمسِ، من رَجلٍ أتاها

ستردّه هي للرّجال، بأنَهم قتَلوا أباها

وتلقّفوها يعبَثُونَ بِها وما رحموا صباها،

لم يَبْتغوها للزّواجِ لأنَّها امرأةٌ فَقيرة،

واستَدْرجوها بالوعودِ لأنَّها كانتْ غَريره،

وتهامسَ المُتقولِّون فثارَ أبناءُ العَشيرة

مُتَعطّشين ـ على المفارقِ والدُروبِ ـ إلى دِماها.

وكأنَّ مَوجةَ حِقدِها ورُؤى أَساها.

كانت تقرّبُ من بصيرةِ قَلبِها صُوراً علاها صَدأُ المدينةِ وهي تَرقُد في القرارِة من عماها:

كلُ الرّجال ؟ وأهلُ قريتِها ؟ أَليسوا طَيّبين ؟

كانوا جياعاً ـ مثلَها هي أو أبيها ـ بائِسين،

همْ مثلُها ـ وهم الرِّجالُ ـ ومثلُ آلافِ البغايا

بالخُبزِ والأَطمارِ يؤتجرون، والجَسدُ المهين

هُوَ كلُ ما يتَملّكونَ، هم الخُطاةُ بلا خَطايا

وهمُ السكارى بالشرُورِ كَهؤلاءِ العابرينَ

من السّكارى بالخُمورِ كهؤلاءِ الفاجِرين بال فُجور

ليسَ الذينَ تَغصبَّوها من سلُالةِ هَؤلاء:

كانوا كآلهةٍ مُقطبّةِ الجِباه من الصُّخور

تمتص منَ فزعِ الضحّايا زَهوَها ومنَ الدِّماء

مُتَطلّعينَ إلى البرايا كالصّواعِقِ من علَاء !

وتُحِسُّ، في دَمِها، كآبةً كلّ أَمطارِ الشتّاء

من خَفْقِ أَقدامِ السكارى، كالأَسيرِ وراءَ سوُر

يُصغي إلى قرعِ الطُبولَ يموتُ في الشّفقِ المُضاء.

هِيَ والبَقايا خَلفَ سورٍ، والسُكارى خَلْفَ سور،

يبحثنَ هنّ عن الرّجالِ، ويَبْحثون عن النساءِ،

دَمِيتْ أصابعُهُنّ: تحْفُرُ والحجارة لا تلينْ،

والسورُ يمْضَغُهن ثمّ يَقيئُهن رُكامَ طِينْ:

نَصَباً يُخَلّدُ عارَ آدمَ واندحارَ الأَنبياء،

وطُلولَ مقبرةٍ تَضُمُ رفاتَ " هابيلَ " الجَنين !

سورٌ كهذا، حَدّثوها عنهُ في قَصصِ الطُفولَة:

" يأجوجُ " يفرِز فيه، من حنقٍ، أَظافِرهُ الطويلَة

ويعضّ جندلَهُ الأصمَّ، وكفُ " مأجوج " الثَقيله

تهوي، كأعنفِ ما تكونُ، على جلامدِهِ الضّخامْ،

والسّور باقٍ لا يُثَلُّ... وسوفَ يبقى ألفَ عام،

... ألطفلُ شَابَ وَسورُها هي ما يزالُ كما رآه

obeikandl.com

من قَبلِ يأجوج البرَايا. توأمٌ هُوَ للسَّعير !

لصَّ الحجارةَ من مَنازلَ في السهولِ وفي الجِبالْ

يَتواثبُ الأطفالُ في غرُفاتِها ويُكرْكِرون...

والأمَهاتُ يلِدن والآباءُ للغدِ يَبسِمون،

لمْ يبقَ من حَجرِ علَيها، فهي رِيحٌ أو خَيال.

وأدارَ من حُطَم البلاطِ رُحىً، وساطَ من البُطون

ما تَرتعيهِ رُحاه من لحمِ الأجنَّةِ والعِظامْ،

وكشَاطئينِ من النُجومِ على خَليجٍ من ظَلام

يتحرّقانِ ولا لِقاءَ ويَخْمدانِ سوى رُكام -

شقّ الرجالُ عن النّساءِ: سُلالتين من الأنَام

تتلاقيانِ مع الظلامِ وَتفصِلانِ مع الشّروق:

لو يَقْطَعون الليلَ بحثاً والنّهارَ - على سِواها

في حُسنِها هيَ ؟ في غَضارةِ ناهديها أو صِباها

وبِسعرِها هيَ ؟ أيّ شيء غيرَ هذا يَبتغونْ ؟

عَمياءُ أَنتِ وحظُكِ المَنْكودُ أَعمى يا سلَيمه.

... وتلَوبُ أغنيةٌ قَديمة

في نَفسِها وصَدىً يُوشوشُ: يا سليمه، سليمه

نامتْ عيونُ الناس. آهِ... فمن لِقَلْبي كَي يُنِمَه ؟

ويلٌ الرِجالِ الأَغبياءِ، وويلُها هيَ، من عماها !

لمَ أصبْحَوا يَتَجنَّبون لِقاءها ؟ أيُضاجِعونَ

عيونَها، فيَخلِّفونها وحْدها إذ يَعْلَمونَ

بأنّها عَمياءُ ؟ فيمَ يُكابِرون َومُقلتاها

ما كانتا فَخذينِ أو رِدْفينِ ؟

وهي بهؤلاءْ

أَدْرى، وتَعرِفُ أيّ شيءٍ في البَغايا يَشتَهونْ.

بالأَمْسِ، إذ كانتْ بَصيرة،

كانَ الزّبائنُ بالمئاتِ، ولم يكونوا يَقْنعون

بنظرةٍ قَمراء تَغصبُها من الرّوحِ الكَسيرة

لِتَرُشّ أفئدة الرِجالِ بِها، وكانوا يَلْهثون

في وَجْهِها المأجورِ، أبخرةَ الخُمورِ، ويَصْرَخون

كالرَّعدِ في ليلِ الشِتاءْ:

" إن كُنتِ لا تَتَجرّدين كما أتيتِ إلى الوجود،

إن كُنتِ لا تَتَجرّدين... فلا نُقود ! "

ولعلّ غِيرةَ " ياسمين " وحقدها سببُ البلاءْ:

فهي التي تضعُ الطِلاءَ لَها وتمسحُ بالذُرور

وجهاً تَطفأتِ النّواظرُ فيهِ...

ـ " كيفَ هوَ الطِّلاءْ ؟

وكيفَ أَبدو؟ "

ـ " وردةٌ..قمرٌ.. ضِياء ! "

زُورٌ.. وكلّ الخَلْقِ زُورْ،

والكونُ مَينٌ وافتِراءْ.

لو تُبصرُ المرآةَ ـ لمحةَ مقلتيها ـ لو تَراها

ـ لمحَ النيازكِ ـ ثمّ تَفرقُ من جديدِ في عَماها !

برقٌ ويُطفأُ... ثمّ تُحكِم فِرقَها بيدٍ، وفاها

بيدٍ، وتَرسمُ بالطِّلاءِ على الشِّفاهِ لها شِفاها.

شَفتاكِ عاريةٌ وخدُّكِ ليس خدك يا سليمة

ماذا تخلف منك فيك سوى الجراحات القديمة

وتَضمّ زهرةَ قلبِها العَطشى على ذِكرى أليمة:

تلك المُعابِثة اللَعوب... كأَنَها امراةٌ سِواها !

كالجَدولينِ تَخوضُ ماءهما الكواكبُ ـ مُقلتاها،

والشّعر يلهثُ بالرَّغائبِ والطَّراوةِ والعَبيرْ

وبمثلِ أضواءِ الطريقِ نَعِسنَ في ليلٍ مَطير،

obeikandl.com

تقتاتُ بالعَسلِ النقيّ، وترتدي كَسلَ الحرير.

ليتَ النّجوم تخرُّ كالفَحمِ المُطفأَ، والسّماءَ

ركامُ قارٍ أو رمادٌ، والعَواصِفُ والسيولْ

تدكّ راسيةَ الجِبالِ ولا تَخلّفُ في المَدينةِ من بِناء !

أن يعَجَزَ الإنسانُ عن أن يستجيرَ من الشّقاء

حتّى بوَهمٍ أو برُؤيا، أن يَعيشَ بلا رَجاء...

أو ليسَ ذاك هو الجَحيمُ ؟ أليسَ عَدْلاً أن يَزولْ ؟

شَبِعَ الذُّباب من القُمامةِ في المَدينة، والخيُول

سرِّحنَ من عَرباتِهن إلى الحظائرِ والحقُول،

والنّاسُ ناموا ـ وهي ترتقبُ الزّناةَ بِلا عَشاء.

هذا الذي عَرضَتْه كالسلّعِ القَديمة: كالحِذاء،

أو كالجِرار الباليات، كأُسْطوَاناتِ الفناء...

هذا الذي يأبى علَيها مُشترٍ أن يَشتريهِ

obeikandl.com

قد كان عَرْضا ـ يومَ كانَ ـ ككلِّ أَعراضِ النِساءْ !

كان الفَضَاءُ يضيقُ عن سعِةٍ، وتُرتخَصُ الدّماء

إن رنّقَ النّظرَ الأثيمَ عليهِ. كانَ هُوَ الإباء

والعزةَ القعساءُ والشّرَفَ الرّفيعَ. فَشاهِديهِ

يا أعينَ الظّلماءَ، وامْتلأي بغَيظِكِ وارجميهِ

بشَواظِ عَارِكِ واحتقارِكِ يا عُيونَ الأَغبياءْ !

ـ " لا تَتركوني يا سكارى

للمَوتِ جوعاً، بعدَ موتي ـ ميتةَ الأَحياءِ ـ عارا.

لا تقلقوا... فَعمايَ ليسَ مَهابةً ليَ أو وَقارا.

ما زلتُ أَعرفُ كَيفَ أُرعِشُ ضِحكتي خَلَل الرّداء

كالقمحِ لُونُكِ يا ابنةَ العَربِ،

كالفَجرِ بينَ عَرائشِ العِنَبِ

أو كالفُراتِ، على ملامحِهِ

obeikandl.com

دعةُ الثرى وضراوةُ الذهبِ.

لا تَتركوني.. فالضُّحى نَسبي:

من فاتحٍ، ومجاهدٍ، ونَبي !

عَربيةٌ أنا: أُمتي دمُها

خَيرُ الدِّماءِ... كما يقولُ أبي.

في مَوضعِ الأَرجاسِ من جَسَدي، وفي الثّديِ المُذالْ.

تجري دماءُ الفاتحينَ. فلوِّثوها، يا رِجالْ

أواهُ مِن جِنس الرّجالِ.. فأَمسِ عاثَ بِها الجنُود

الزّاحِفونَ من البّحارِ كما يَفورُ قَطيعُ دود

يا ليتَ للموتى عُيوناً من هَباءٍ في الهَواءِ

ترَى شَقائي

فَيرى أبي دمَه الصّريحَ يعبُّ أوشالَ الدِّماء

كالوَحلِ في المُستنقعاتِ. فلا يردّ الخاطبينَ

أبٌ سِواه:

obeikandl.com

إلاَّ العُفاةَ المُفلسينْ.

أنا زَهرةُ المستنقعاتِ، أعبُّ من وَحْلٍ وطينْ

وأشعّ لونَ ضُحىً... "

وذكّرها بجَعْجَعةِ السّنِين

سُعالُها. ذهبَ الشّباب !!

ذَهَبَ الشّبابُ !! فشيّعيهِ مع السِّنين الأَربعينْ

ومع الرِجال العَابرين حِيال بابِك هازِئين.

وأَتى المَشِيبُ يلفُّ رُوحكِ بالكآبةِ والضَّبابْ،

فاستقبليهِ على الرّصيف بلا طَعامٍ أو ثِياب،

يا ليتكِ المِصباحُ يخفقُ ضوؤهُ القَلِقُ الحَزين

في لَيْلِ مخدعِك الطّويلِ، وليتَ أنَّكِ تُحرِقين

دماً يجِفّ فتَتَشْتَرينَ

سِواهُ: كالمِصْباحِ والزّيتِ الذي تَستْأْجِرين.

obeikandl.com

عشرونَ عاماً قد مَضين، وشبتِ أنتِ، وما يزَالُ

يُذَرذِرُ الأضواءَ في مُقَلِ الرّجال.

لو كنتِ تدّخرين أَجرَ سناهُ ذاكَ على السِّنين

أثريتِ...

ها هُو ذا يُضيء فأيَّ شيءٍ تملكينْ ؟

ويحَ العراق ! أكانَ عَدْلاً فِيه أنَّكِ تَدْفعينَ

سُهادَ مُقلتِكِ الضَّريره

ثمناً لملءِ يديكِ زيتاً من منابعِهِ الغَزيره ؟

كيْ يُثمِرَ المِصباحُ بالنورِ الذي لا تُبصرين ؟

عشرونَ عاماً قد مَضينَ، وأنتِ غَرثى تَأْكلينَ

بنيكِ من سَغَبٍ، وظَمأى تَشربينَ

حليبَ ثديكِ وهو ينزِفُ من خياشِيم الجنينْ !

وكزارعٍ لَهمَ البُذورَ

obeikandl.com

ورَاحَ يقتلعُ الجُذورَ

من جُوعه، وأتى الربيعُ فما تفتّحتِ الزُّهورُ

ولا تنفّستِ السّنابلُ فيه...

ليسَ سوى الصُخورْ

سوى الرِّمالِ، سِوى الفَلاة ـ

خُنتِ الحياةَ بغيرِ عِلمكِ، في اكْتداحِكِ لِلحياة !

كم ردّ موتُكِ عنك موتَ بنيك. إنكِ تَقطعين

حبلَ الحياة لتنقُضيهِ وتضفري حَبلاً سِواه،

حبلاً به تتعلّقينَ على الحياةِ تُضاجعينَ

ولا ثِمارَ سِوى الدّموعِ، وتأكُلينَ،

وتَسْهرينَ ولا عُيونَ، وتَصرخينَ ولا شِفاه،

وغداً. وأمسِ... وألفُ أمسِ ـ كانّما مَسَحَ الزَّمان

حُدودَ ما لكَ فيهِ من ماضٍ وآتٍ

ثمَّ دارَ، فلا حُدودْ

ما بينَ ليلكِ والنّهارِ، وليسَ، ثمّ، سِوى الوجُود...

سوى الظلامِ، ووطءِ أجسادِ الزَّبائنِ، والنُقود،

ولا زمانَ، سوى الأريكةِ والسرَّيرِ، ولا مكانْ !

لم تحْسبين لياليَ السأَمِ المُسهَّدةَ الرَتيبه ؟

ما العُمرُ ؟ ما الأيّامُ ؟ عندَكِ، ما الشُهورُ ؟ وما السنِّين ؟

ماتت " رجاءُ " فلا رَجاءَ. ثكلتِ زَهرتَكِ الحَبيبه !

بالأمْسِ كُنتِ إذا حَسبتِ فعُمْرُها هي تَحسبين.

كانت عزاءكَ في المُصيبة،

وربيعُ قفرتِكِ الجَديبة.

كانتْ نقاءك في الفُجورِ، ونَسمةً لكِ في الهَجير،

وخلاصَكِ الموعودَ، والغَبَشَ الإلهيّ الكَبير !

ما كان حكمةَ أن تَجيءَ إلى الوجُود وأن تموت ؟

obeikandl.com

أَلتشربَ اللَّبنَ المرنّقَ بالخَطيئةِ واللُّعابْ:

أو شالَ ما تركتْه في ثَدييكِ أشداقُ الذئابِ ؟

مات الضَجيجُ. وأنتِ، بعدُ، على انتظارِكِ للزُّناة،

تَتَنَصّتينَ، فتسمعينَ

رنينَ أقفالِ الحديدِ يموتُ، في سأمٍ، صَداه:

البابُ أُوصِدَ.

ذاكَ ليلٌ مرَّ...

فانتظري سِواه.

obeikandl.com

شناشيل ابنة الجلبي

وأذكرُ من شتاءِ القَريةِ النضَّاحِ فيهِ النّورُ

من خَلَلِ السَّحابِ كأنَّهُ النّغَمُ

تسرّبَ من ثُقوب المعزفِ ـ ارتعشتْ له الظُلَمُ

وقد غنّى ـ صَباحاً قبْلَ... فيمَ أعدُّ ؟ طفلاً كُنتُ

أَبتسمُ

لليلي أو نَهاري أثقلتْ أغصانَهُ النَشوى عُيونُ الحورْ.

وكنا ـ جدّنا الهدّارُ يضحكُ أو يغنّي في ظِلالِ الجَوسقِ

obeikandl.com

القَصَبِ

وفلاّحيهِ يَنتظرونَ:

" غيثَكَ يا إلهِ "

وإخوتي في غَابةِ اللعبِ

يَصيدونَ الأرانبَ والفراش، و(أحمدَ) الناطور -

نحدّقُ في ظِلالِ الجَوسق السَّمراءِ في النَّهْرِ

ونَرفع للسَّحابِ عُيونَنا: سيسيلُ بالمطرِ.

وأَرعدتِ السّماء فرنَّ قاعُ النَّهرِ واَرتعشَتْ ذُرى السَّعَفِ

وأشعلَهُنّ ومضُ البرْقِ أزرقَ ثمّ أخضر ثمّ تنطفئُ

وفَتّحتِ السماءُ لغيثها المدرار باباً بعدَ بابٍ

عادَ منهُ النهرُ يَضحكُ وهو ممتلئ

تُكلّله الفَقَائعُ، عادَ أخضرَ، عادَ أسمرَ، غَص بالأنغامِ واللّهفِ

obeikandl.com

وتحتَ النّخلِ حيثُ تظلّ تُمطرُ كلّ ما سعْفَه

تراقصت الفقَائعُ وهي تُفْجَرُ - إنّه الرُّطَبُ

تساقطَ في يدِ العذراء وهي تهزُّ في لَهفه

بجذعِ النَّخلةَ الفرعاء (تاجِ وليدك الأنوارُ لا الذّهب،

سيصلَبُ منهُ حبَّ الآخرينَ، سيبُرئُ الأعمَى

ويبعثُ من قَرار القبرِ ميْتاً هدّه التعبُ

من السّفرِ الطويلِ إلى ظلامِ الموتِ، يكسو عَظْمَهُ اللَحّما

ويوقدُ قلبَه الثلجيَّ فهوَ بحبِّهِ يَثِبُ !)

وأَبرقَتِ السّماءُ...فلاحَ، حيثُ تعرّجَ النَّهرُ،

وطافَ معلّقاً من دونِ أسّ يلثمُ الماءَ

شناشيلُ ابنةُ الجلبيِّ نَوّرَ حولَه الزّهَرُ

(عقودُ ندى من اللبلابِ تسطعُ منهُ بيضاءا)

وآسيةُ الجَميلةُ كحلّ الأَحداقَ منها الوجدُ والسَّهرُ.

يا مطراً يا حلبي

عَبّرْ بناتِ الجَلبي

يا مطراً يا شاشا

عبّر بَناتِ الباشا

يا مطرَاً من ذَهبِ

تقطّعتِ الدُروبُ مقصٌّ هذا الهاطلِ المِدرارِ

قَطَّعها ووراها،

وطوّقتِ المَعابرُ من جُذوعِ النَّخيلِ في الأمطارْ

كفرقى من سفينةِ سِندباد، كقصّةٍ خضراءَ أرجأها وخلاَّها

إلى الغدِ (أحمدٌ) الناطورُ وهو يَديرُ في الغُرفه

كؤوسَ الشّاي،

obeikandl.com

يلمسُ بندقيّتهُ ويسعلُ ثمّ يعبرُ طرفهُ الشرِّفة

ويَخْترِقُ الظلّامَ.

وصاحَ "يا جدّي" أخي الثَّرثارْ:

"أَنمكث في ظلامِ الجوسقِ المبتلِّ ننتظرُ ؟

متى يتوقفُ المَطَرُ ؟ "

وأرعدتِ السمَّاءُ، فطارَ منها ثمّةَ انفجرا

شناشيلُ ابنةُ الجلبيّ...

ثمّ تلوحُ في الأفقِ

ذُرى قوسِ السَّحاب. وحيثُ كَانَ يسارقُ النَّظرا

شناشيلُ الجميلةُ لا تُصيب العينَ إلاَّ حمرةَ الشَّفقِ.

ثلاثونَ انقضتْ، وكبرتُ: كم حُبٍّ وكم وجدِ

توهَّجَ في فؤادي !

غيرَ أني كُلّما صفقَتْ يدا الرَّعدِ

مَدَدْتُ الطّرفَ ارقبُ: ربما ائتلقَ الشّناشيلُ

فأبصرتُ ابنةَ الجلبي مقبلةَ إلى وعدي !

ولم أرَها. هواءٌ كلّ أشواقي، أباطيلُ

ونبتٌ دُونما ثَمرٌ ولا وردِ !

لندن ١٩٦٣/٢/٢٤

obeikandl.com